الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
وزارة التعليــم العالـــــي والبحـث العلـــــمي
جامعـــــة 08 ماي 1945 - قالمة -

كليــة العلوم الإنسانية والاجتماعيــة
قسم الفلسفة

تخصص فلسفة تطبيقية

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

الفكر التحرري في الفلسفة النسوية
" نوال السعداوي " أنموذجا

مذكـــــرة مكملة لنيـــــل شهــادة الماستــر في الفلسفة

إعـداد الطالبة:
* نميري ريان

اشراف الاستاذ
د.حاج علي كمال

أعضــاء لجنــة المناقشــة

المشرف	الرئيس	المناقش
د. حاج علي كمال	د. شرماط فايزه	د. العالم عبد الحميد

السنـــة الجامعيـــة: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

<< قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي

لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ

جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا>>

صدق الله العظيم (الكهف 109)

الجريمة الكبرى أنني إمرأة حرة في زمن لا يريدون فيه إلا

الجواري و العبيد ولدت بعقل يفكر في زمن يحاولون فيه

إلغاء العقل

نوال السعداوي مذكرتي في سجن النساء ص11

شكر و عرفان

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات الحمد لله على النجاح الحمد لله على التوفيق

أرفع يداي محبة وشكرا لك يا رب فما توفيقي ونجاحي إلا منك وبك يا الله ذا الجلال والإكرام

وها أنا ذا قد شارفت رحلتي مع الماستر على نهايتها بعد تعب ومشقة واجتهاد وها أنا ذا أختم بحث تخرجي بكل همة وإصرار.

في البداية أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور حاج علي كمال على كل المجهودات التي بدلها معي بفضل توجيهاته ونصائحه التي ساعدتني لإخراج هذا البحث إلى النور كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى جميع أساتذة قسم الفلسفة وشكر خاص إلى الأستاذة دباش حبيبة والأستاذة رامول عز الدين ومقنعي بلال وديب نصيرة على دعمهم وتشجيعهم الدائم لي، كما لا أنسى الأستاذة سعايدية

والأستاذ الزميل مراجي رضوان.

إهداء

أهدي ثمرة عملي المتواضع إلى من أفضلها على نفسي

إلى التي أفنت عمرها من أجل نجاحي

إلى من زرعت في روحي حب لفلسفة

إلى خير مثال للصبر والشجاعة

إلى من ساندتني لأكون أنثى واعية متحررة فكريا

أمي تؤأم روحي.

إلى جميع إخوتي، عبد الجليل، ماجدة ومحمد رضا

وإلى أمي الثانية خالتي الحاجة حورية

وخالاتي ليندة وطاطا ساسية، والى خالي صالح وزوجته امال واولاده يحي

وزكريا ولينا والى خالي عبد الله وسفيان

إلى صديقاتي مفيدة ووسيلة ورفيقة دربي غاليتي أسماء والأستاذ مجراب

عبد النور.

الى خطيبي محمد

إلى كل من ساعدني ودعمني في إنجاز هذا العمل

من قريب أو بعيد

لكم مني فائق التقديـــــر والاحتـــــــرام

إهداء خاص

إلى الذي اسمه على مسمى نجم في سماء العلم

الأستاذ الفاضل الدكتور محمد حسين النجم بالجامعة المستنصرية

في الدولة الشقيقة العراق والذي كان إلى جانبي خطوة بخطوة منذ بداية

مشواري الفلسفي.

لك أسمى معاني الحب والتقدير والعرفان والشكر

أقول لك مجهوداتك ونصائحك لم تذهب هباء منثورا

بل تمخض عنها مولودا يشع نورا يهتدى به في عالم الفكر الفلسفي

النسوي

أهديك هذا النجاح مكللا بأريج السعادة التي غمرتني

وأنا أخط لك هذه العبارات تحياتي يا أستاذي النجم.

المقدمة

مقدمة :

تعتبر المرأة جزءا لا يتجزأ من المجتمع لها مكانتها التي تليق بها فقد ساهمت عبر التاريخ في بنائه، و لعبت أدوارا مختلفة في إدارة شؤونه فكانت السياسية و المفكرة و العالمة المبدعة و هذا منذ فجر الحضارات فكان هناك توازن بين الرجل و المرأة غير أن ذلك لم يستمر بسبب السيطرة الذكورية في العصر الحديث و سيادة النظام الأبوي لذلك ناضلت المرأة من أجل استرجاع حريتها و افتكاك حقوقها و انتظم هذا النضال في شكل أكثر تنظيما.

أصبحت المرأة اليوم أكثر وعيا بواقعها الصعب مما أكسبها إصرارا على تمسكها بافتكاك حريتها و نيل حقوقها مستفيدة من رصيدها العلمي و المعرفي فسارت في درب الفكر التحرري.

فقد بدأت المرأة الأوربية نضالا مستمرا ضد جميع أشكال القيود التي كبلتها سواء كانت اقتصادية آو سياسية آو اجتماعية او قانونية او دستورية وقدمت الكثير من التضحيات , فالنظرة الدونية الى المرأة تمتد عميقا في التاريخ الإنساني مثلما هي كذلك في التاريخ الأوربي , فلم يكن للمرآة هناك إلا بيتها تختبئ فيه لتنجز مهمتها الأساسية في الإنجاب وخدمة الرجل , وعلى الرغم مما نعلم من تقدم حضاري وثقافي وسياسي حققته أثينا , مثلا , في عهد ديمقراطيتها منتصف القرن الخامس قبل الميلاد , وما تمتع بع الرجال من مستوى عالي من الحرية , والمشاركة السياسية , الا ان المراة بقيت حبيسة البيت , لا ينظر لها الا كإحدى مكملات البيت مثلها مثل قطع الأثاث باستثناء وظيفتها بالإنجاب التي تميزها , وهذا الموقف لم يكن مقتصرا على عامة الناس بل نجده عند مفكرين كبار كسقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من معالم الفكر , ومع ظهور السلطات الكنسية في العصور الوسطى ازدادت معالم التهميش والإقصاء على المراة , وإزاء هيمنة الذكورية على المتولين للجانب الديني بات تغليف إقصاء المرأة وحرمانها من الكثير من حقوقها بغلاف ديني انتهى الى جعلها تمتاز بالنجاسة وسهولة حرمانها من حق الحياة بمبررات مستمدة من فهم ديني . لقد تحالف الدين المسيحي مع سابقه الدين اليهودي مع السلطات الإقطاعية المتحكمة بتشكيل نظام ابوي تكون السيادة فيه والحقوق والامتيازات للذكر سواء بصفته الأب الراعي (الملك أو الإمبراطور أو راعي الكنيسة) أو الأب المباشر لعائلته او الأخ أو غيرهم من المتحكمين بتوجيه المرأة حيثما يرون ونزع حقوقها والتحكم بحياتها , وهكذا ترسخت النظرة الأبوية والهيمنة الذكورية لتتخذ من المقدس أساسا لها . أن نظرة العصور الوسطى للمرأة لم تتغير كثيرا في العصور الحديثة , حيث آن المكاسب التي باتت تتحقق صارت حكرا على الذكور في الوقت الذي شاركت بالصراع لأجله المرأة الأوربية . وقد شكلت الثورة الصناعية سببا أخر لتعميق حالة الظلم والاضطهاد بحقها حين أضافت صعوبات العيش عملا وكدحا إضافيا , فهي تعمل في البيت لخدمة الرجل وحضانة أطفالها وتعمل في المعامل والمصانع , مثلما تم التمييز بينها وبين الذكور في الأجور , وقد بنيت الرأسمالية الصناعية خليفة النظام الإقطاعي الأبوي إنجازاتها على قهر النساء وظلمهم الذي فاق كثيرا ما لحق بالرجال مما تطلب منها ان تدخل صراعا

اخر مع زميلها الرجل الذي ساهمت معه في تحقيق ما تحقق من حرية جعلها حكرا عليه . قامت المراة الاوربية بنضال متصل من خلال تأسيس الجمعيات النسوية والنقابات التي جعلت هدفها احقاق حقوقهن التي بدأت بقطفها بشكل متدرج وصولا الى ما وصلت اليه الان وهو ليس بمستوى ما حققه الرجل، ولازال نضالها مستمرا .وقد كان من اثار الاتصال بالغرب والتعرف على ما حققته المرأة هناك ان تبنى عدد من المفكرين العرب الدعوة الى النظر الى المرأة بصورة مخالفة لما ترسب بالواقع الاجتماعي من أفكار وتصورات تجعل منها دون الرجل، وهو ما حفز عددا من المفكرات العربيات لاستلام الرسالة وتبني النضال من اجلها، وقد بدأت الحركة النسوية بالتبلور والظهور حاملة راية الدعوة لمنح المرأة استحقاقها من المكانة والاعتبار في مجالات الحياة المتنوعة. وهكذا بدأت نشاطات الحركات النسوية في أرجاء العالم العربي وفقا للظروف العامة لكل بلد مما خلق اختلافا في مستوى نشاطها وتطوره مثلما أعاقت ظروف بلدان أخرى من ظهورها ونموها أو على اقل تقدير بطء ظهورها ونشاطها. وقد أفرزت الحركات النسوية في أرجاء العالم العربي شرقه وغربه الكثير من الناشطات النسويات اللاتي تعرضن للكثير من الاضطهاد في محاولة لإسكات صوتهن، الا أنهن كن أكثر مقاومة وقوة في مواجهة تلك الهجمات، ولعل نوال السعداوي الطبيبة والمفكرة والأديبة والناشطة النسوية المصرية تعد نموذجا لما لاقته او تلاقيه النساء ضمن الحركات النسوية العربية من أذى واضطهاد وتهديد وعنف أوشك آن يطال حياتها، وهو ما كرسنا حولها هذه المذكرة .ان أهمية موضوعنا تكمن في محاولتنا من خلاله الكشف عن الواقع المزري للمراة العربية لغرض تحيق الوعي النسوي من خلال نشر الافكار التحررية التي تدعم فكرة المساواة بين الجنسين و بالتالي فان هدفنا الاساسي من خلال هذه الدراسة هو تحليل و توضيح افكار نوال السعداوي التحررية من منطلق فلسفي انطلاقا من الاشكالية الاتية:

مامدى مساهمة النسوية العربية في تحرير المراة حسب نوال السعداوي ؟ و مامدى مساهمة نوال السعداوي في تأسيس النسوية في الوطن العربي ودفاعها عن تحرير المراة؟

وتندرج تحت هذه الاشكالية عدة تساؤلات اساسية تقتضي منا الوقوف عندها والمتمثلة في :

ماهي الارهاصات الاولى للفكر النسوي ؟ وما المقصود بالفكر التحرري ؟ الي أي حد تشكل السعداوي صورة لكفاح المراة ؟ وماهي قضايا الفكر التحرري عندها ؟ الى أي حد استطاعت المراة العربية من خلال الحركات النسوية ان تفرض وجودها على الخارطة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية في بلدانها ؟ وماهي الافاق المستقبلية للحركات النسوية العربية وقدرتها على ان تكون فاعلا مؤثرا في مجتمعاتها؟

وفي الاجابة على هذه الاشكالية وما تبعها من مشكلات ، فقد اعتمدنا المنهج التاريخي و المنهج التحليلي حيث سعينا لتتبع النضال النسوي تاريخيا ،بدءا من نضال المراة الغربية وصولا الى كفاح المراة العربية ،فيما استعنا بالتحليل لافكار نوال السعداوي التي طرحتها في مؤلفاتها.

ينبني اختيارنا لهذا الموضوع على عدة اسباب فمما لا شك فيه ان البحث في هكذا موضوع لا يخلو من اهتمامي الذاتي اولا لأنني امرأة ومهم جدا ان اتعرف على مسار تطور الحركة النسوية ،ثانيا لان معظم مطالعاتي مقتصرة على الفكر النسوي وثالثا ايماني المطلق ،بأحقية المطالب التي تطرحها الحركة النسوية ، اضافة الى الجانب الموضوعي يرتبط باهمية اشراك المراة التي تشكل نصف مجتمعاتها في حركات التنمية والتطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وغيرها من المجالات و اهمية ما قدمته من انجازات على المستويات كافة هذا من جهة ومن جهة اخرى ان هذا الموضوع من القضايا الراهنة التي بدأت مؤخرا تكتسح الساحة السياسية و الفكرية العربية ولا يزال غامض بالنسبة لأغلب فئات المجتمع الامر الذي دفع بي الى محاولة تقديم اضافة علمية والكشف عن الجانب المشرق في فكر الدكتورة نوال السعداوي من زاوية فلسفية .

و اقتضت طبيعة البحث ان يكون وفق الخطة التالية ثلاث فصول بعد **المقدمة** : عنونا **الفصل الاول** بالفلسفة النسوية من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل حيث تم البحث فيه عن ارهاصات الفكر النسوي ،و جينيالوجيا الفلسفة النسوية المتعلقة بضبط المصطلحات و المفاهيم ،و كذلك التأشير لتاريخ الحركة النسوية الغربية و العربية فيما تناول **الفصل الثاني** قضايا الفكر التحرري عن نوال السعداوي حيث ناقشنا فيه الجدل السياسي للاخلاق والدين و المراة والجنس و الثورة والابداع وانتهينا **بالفصل الثالث** الى عرض تحديات وافاق الحركة النسوية العربية حيث توقفنا عند نوال السعداوي في ميزان النقد والتقييم و اشرنا واقع الحركة النسوية والافاق المستقبلية لها واخيرا **خاتمة**.

فيما يتعلق بالدراسات السابقة فنجدها محصورة في تخصص الادب من بين هذه الدراسات: **مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والادب العربي بعنوان التمرد في كتابات نوال السعداوي "مذكرات طبيبة انموذجا"**.

وقد اعتمدنا خلال هذه الدراسة على مصادر اساسية من بينها:" **كسر الحدود**" و "**الوجه العاري للمرأة العربية** " و "**قضايا المرأة والفكر و السياسة** "و "**عن المرأة و الدين والاخلاق**".

وعن الصعوبات التي واجهتنا اثناء القيام بهذه الدراسة فتتمثل في قلة المراجع المتخصصة التي يمكن الاستهداء بها لتناول السعداوي من زاوية فلسفية حيث ان الكثير المطروح عنها تناولها من زاوية الآداب والرواية مما دفع بنا للغوص في افكارها الفلسفية انطلاقا من مصادرها بالدرجة الاولى ،ايضا تقيدنا بعدد معين من الصفحات مما دفع بنا الى اعادة تلخيص الفصول من جديد ،كذلك الاوضاع الصحية التي يشهدها العالم بسبب فيروس كوفيد19.

الفصل الأول

تمهيد:

يحصي الفكر الإنساني اليوم الكثير من الأعمال الفلسفية، والتي كانت ثمرة بحث لكثير من الفلاسفة وقد سجّل التاريخ بصمات نساء فلاسفة، حيث ناضلن من أجل حرية التفكير ورفع الوصاية عن العقل، وأن تأخذ المرأة مكانتها الحقيقية.

تمتلك الفلسفة النسوية تاريخا يستغرق جهود الكثير من الفيلسوفات اللواتي أثبتن جدارتهن الفكرية، جهود ليست وليدة اليوم ، إنما تضرب بجذورها في تاريخ الفكر الإنساني.

ومن المهم أن نفهم في هذا الفصل حقيقة الفلسفة النسوية وما يرتبط بها من مفاهيم، لذا يتطلب الأمر فهم الإرهاصات الأولى للفكر النسوي، والبحث في تاريخ الحركة النسوية، فكل هذه الموضوعات كانت محل بحثنا في هذا الفصل.

أولا: إرهاصات الفكر النسوي:

إذا تأملنا في تاريخ الفكر الفلسفي نجد أن المرأة شكلت موضوعا محوريا، وما يلفت النظر والغريب في الأمر أن معظم كبار الفلاسفة انحازوا ضد المرأة، واعتبروها كائن أقل من الرجل ذلك أننا عندما نبحث في تاريخ المرأة البشري نلمس بأنها تلك الكائن المجرد من الحرية والإرادة، محدودة الفكر مهضومة الحقوق، وهذا ما تدلنا عليه النصوص التاريخية لبعض الفلاسفة، وغرضي من هذا الاستهلال هو توضيح أن هناك إرهاصات ساهمت في تشكل الفكر النسوي الذي يرفض مثل هذه التصورات، وذلك من خلال تصفح أعمال هؤلاء الفلاسفة الذين حاولوا في كل مرة التأكيد على دونية المرأة، وتبعيتها للرجل والتي باتت اليوم بمثابة شعارات مقدسة ومتجذّرة في صميم الثقافات والفلسفات المعاصرة سواء الغربية أو العربية.

وكما هو معلوم أن الحضارة اليونانية كانت أرض خصبة للفكر والإنتاج وحفظ الحقوق، إذ مازالت إلى وقتنا هذا تعتبر منطلق أو مهد لجميع الفلسفات في العالم، على الرغم من هذا نجدها لم تكن منصفة للمرأة، كونها نظرت إليها نظرة عداء، ولم تعترف بها كفيلسوفة، فلم تكن لها أي مكانة اجتماعية.

أ- اضطهاد الفلاسفة للمرأة:

إن الرؤية الدونية والاستحقار التي واجهت المرأة، نجدها ماثلة أمامنا في قول أشهر فيلسوف وهو سقراط، حيث قال: <<النساء يولدن الأجساد أما الفلاسفة فيولدون الأرواح >>[1]، إضافة إلى هذا روجوا لصورة مدنسة عن حقيقة المرأة كأن اعتبروها نحسا ومصدرا للشقاء والبؤس فهي مجرد<<حيوان يباع ويشترى وكانوا يسلبونها أهلية التصرف، ويرونها تصلح لخدمة البيوت وتربية الأطفال وليست بطهر الحيوان، بل دنسه ومحتقرة وحتى سموها رجسا من عمل الشيطان>>[2].

---

[1] - جوي سليم، كره النساء فلسفيا من سقراط إلى نيتشه، مجلة ثقافة وناس، العدد 13 -14، 2018، ص 31.

[2] - باسمة كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للنشر، د ط ، بيروت ، لبنان، 1981، ص33.

والجدير بالذكر أن سقراط أب الفلسفة أو لنقل الإنسانية لم يكن إنسانيا في وصفه لمكانة المرأة عموما، واعتبر وجودها مصدر للانهيار والأزمة، فكانت المرأة في التشريع الإغريقي مهضومة الحقوق كما أنها قاصر لهذا لا بد أن تبقى تحت سلطة الرجل.

الفكرة الاقصائية نفسها يشاركه فيها صاحب كتاب الجمهورية، ولكن بطريقة أخرى، فالوهلة الأولى قد يبدوا لنا أفلاطون من أوائل الفلاسفة الذين طالبوا بالمساواة بين الجنسين وحرية المرأة، <<وإتاحة الفرصة أمامها لتتعرف و تعب من الثقافة و العلوم، كما يعب منها الرجل حتى تتمكن من أداء واجبها الوطني، وتقدم للوطن نفس الخدمات التي يؤديها الرجل>> [1]. ومن الملاحظ أن فكرة المساواة التي يدعيها تظهر عند أفلاطون في مقولته الآتية<< الرجال كلاب حراسة ترعى القطيع والنساء، مثل إناث كلاب حراسة، عليها أن تسهر كالذكور على حراسة القطيع>>[2] فليس هناك فرق بين الجنسين في القيام بمثل هذه المهام، وعليهما أن يقوما بعملية الحراسة والحماية معا.

لم يتوقف أفلاطون عند هذا فحسب، بل أقر بوجوب أن يكون تعليم المرأة لا يختلف عن تعليم الرجل، سواء من الناحية الثقافية أو فيما يخص التدريبات الرياضية وفن الحرب وحتى الموسيقى، ما اذا كنا فعلا نريد ان نفرض على المرأة ما لا يفرض على الرجل من مهام ، ثم أنه لا وجود لعمل تختلف في أدائه طبيعة الرجل عن المرأة، وهنا قد يبدوا لنا أن أفلاطون كان من السباقين الذين سوقوا لفكرة تحرير المرأة[3].

ولكن اذا تعمقنا نجده في الكثير من كتاباته الفلسفية، نجد أب المثالية لم يكن مثاليا كفاية في نظرته للمرأة، ذلك أن المساواة التي نادى بها أفلاطون لم تكن أبدا لصالح المرأة، لأنه، وببساطة دعى إلى نموذج يتنافى مع معايير الأنوثة في المقابل جعلها مسترجلة فالملاحظ أن موقف أفلاطون من هذا الموضوع (المساواة) فيه نوع من التناقض واذا ما استعرنا قول الدكتور علي حرب في كتابه نقد النص: << النص لا يقول الحقيقة، بل يفتح علاقة مع الحقيقة >>[4]. سنجد ان اراء آراء أفلاطون هكذا بل عاد وبصورة مباشرة الى تغير موقفه من المرأة الذي يعبر فيه عن دونيتها وفي هذه الحالة نجد أفلاطون قدم قراءتان متناقضتين عن المرأة، لأن في محاورته السياسية الكبرى لم يتجاوز أو لم يخرج عن إطار التصور اليوناني المضطهد للمرأة فالفيلسوف ابن بيئته.

---

[1] – المرجع نفسه، ص 36.

[2] – إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مكتبة مدبولي للنشر، د ط،القاهرة ، مصر، د س، ص 73.

[3] – المرجع نفسه، ص (73-75).

[4] – علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي للنشر، ط4، الدار البيضاء، المغرب ،2005، ص14.

وهذا ما تؤكده بعض عباراته كأن يقول: <<الطبيعة البشرية نوعان: الجنس الاسمى وسوف نسميه من الآن فصاعدا الرجل فمن أين جاءت المرأة؟ فمن قهر شهواته ،من الرجال عاش فاضلا في الأرض (...) لكن من فشل منهم واستبعدته شهواته عاش شريرا وذلا(...) فإنه سيتحول في ميلاده الثاني إلى امرأة >>[1]. هذه المقولة كفيلة بأن تفضح وتؤكد أن أفلاطون لم يكن يوما ينادي بحرية المرأة، بل يريد استغلالها سياسيا فقط، لا سيما و انه قصر اراءه على المراة الحارسة وليس جميع النساء ،وحتى يحافظ الرجل على مكانته داخل صرح الفلسفة.

إذا كان سقراط وأفلاطون قد هاجموا المرأة واعتبروها مخلوق أقل من الرجل، فإن جرأة أرسطو كانت حادة ونظرته للمرأة كانت أشد قسوة واضطهاد لها، حيث تقول المفكرة "سوزان بل": << أن الصورة التي رسمها أرسطو للمرأة بالغة الأهمية، فقد ترسبت في أعماق الثقافة الغربية وأصبحت الهادي المسترشد عن النساء >> [2].

إن نظرة و آراء أرسطو حول المرأة كان لها تأثير واسع في أواسط المجتمعات، وأصبحت بمثابة قانون، ذلك أنه عندما نشخص أسباب دونية المرأة فلسفيا والتي عمل على تأكيدها، انطلاقا من فكرة الهيراركية أي تعاقب المراتب والأدوار في شكل هرمي << إذ اعتبر الرجل أرجح عقلا فهو الذي يحكم، والمرأة ناقصة فهي تسمع وتطيع>> [3] كما يظهر ذلك خلال المبررات التي استقاها من علم البيولوجيا ، ومن ثم هناك خطأ طبيعي فيها، حيث يعرف الذكر والأنثى على النحو التالي:

<< يختلف الذكر عن الأنثى بماله من ملكات خاصة، فنحن نعني بالذكر ذلك الذي ينسل في الآخر.و نعني بالأنثى تلك التي تنسل من داخل ذاتها بحيث يخرج النسل من بطنها، وهو النسل الذي كان موجود في الناسل من قبل>>[4].

لقد اعتقد أرسطو بأن المرأة وعاء يلقي به الرجل بذوره، لكي يستمر النسل فهو العنصر الأهم لأن المرأة لا تمتلك البذور لكي تنجب، فهي بحاجة إلى الرجل، وهكذا فالرجل هو العنصر الايجابي مقابل المرأة التي هي العنصر السلبي وهي متلقية وعليه فهي خاضعة للرجل، كما يختصر ارسطو وجود المراة في كونها معتمدا مبدأه في المادة و الصورة فالمرأة هي المادة التي يجب أن تتلقى الصورة لكي يتم ظهور الجنس البشري، أما الرجل فهو الذي ينسل في المرأة بمعنى يلقي ماءه، فهي المادة وتتلقى هذا الماء وتنسل من داخلها، فهي بحاجة إلى الراجل لكي ينسل.

[1] - إمام عبد الفتاح ، أفلاطون والمرأة ، مرجع سابق ، ص 120.

[2] - إمام عبد الفتاح إمام ، أرسطو والمرأة ، مؤسسة الأهرام للنشر ، ط 01 ، القاهرة ،مصر،1993 ، ص 05.

[3] - المرجع نفسه ، ص 46.

[4] - المرجع نفسه ، ص 49.

والملاحظ هنا أن أرسطو يرفض وجود مساواة بين المرأة والرجل رفضا قاطعا، على اعتبار أن الطبيعة هي التي أوجدت هذا التميز بين الذكر و الأنثى من خلال تركيبة كل واحد منهما، وعلى هذه الحالة يصبح الرجل هو الأعلى والمرأة هي الأدنى، كما يجعلها غير قادرة ومؤهلة على ممارسة الفضائل الأخلاقية.

لقد ترك صناع الفلسفة في اليونان انطباعا سيئا حول النساء استمر إلى غاية العصور الوسطى، و هذا ما نجده بارزا في كتابات فلاسفة الدين الذين حاربوا وجابهوا المرأة تحت غطاء الدين من أجل إرساء التعاليم الذكورية لخدمة مصالحهم، ولعل هذا ما قصدته سيمون دي بوفوار* عندما قالت: << إن كل ما كتب عن المرأة من قبل الرجال يجب أن يثير الشبهات لأنهم خصوم وحكام في الوقت نفسه، وقد سخروا اللاهوت و الفلسفة والقوانين لصالحهم >>[1]، إذ نجد "القديس بولس" يستند إلى أحد الشعارات التي كانت ترفع في اليونان حيث كانوا يقولون:<< تاج المرأة هو الصمت وفضيلتها هي الخضوع للرجل >>[2]، ومستندا في ذلك إلى بعض المبررات الدينية، مثل أن آدم خلق أولا و بالتالي هو أحسن من حواء و أنها مصدر الخطيئة.

وأمام قهر الرجل وتسلطه، وجدت المرأة نفسها مجبرة على الصمت، وعندما نقول الصمت نقول الكبت والخوف وما يترتب عنه من مشاكل نفسية، كل هذا من أجل تحقيق رضا الجنس الأسم، أي إتباع آدم مما أدى إلى نشوء فلسفة خضوع المرأة للرجل، وعلى هذا النحو وجدت المرأة نفسها في حالة عبودية لا مفر منها ليس هذا فحسب بل اقتنعت أن عبوديتها أمر طبيعي، وهذا يرجع للتربية الدينية والعادات والتقاليد و هذا ما تقتضيه جدلية العبد السيد و العبد فالرجل من خلال استبعاده للمرأة يحس نفسه سيدا والمرأة من خلال إستسلامها وطاعتها وخضوعها له تحس نفسها عبدا، دون أن ننسى اعتمادهم حجة الخطيئة مستأنسين أن المرأة هي أصل الخطيئة.

ونجد "القديس كلمنت" هو الأخر عمل على إبراز معالم التفرقة بين الجنسين انطلاقا من سمة العقل، لأنه في رأيه هبة منحها الله للرجال دون النساء، وهذا يتطابق مع قوله: << إن المرأة موجود أدنى من الرجل بسبب العقل الذي هو تاج الرجل، وهو يحافظ عليه نقيا دون أن تشوبه شائبة، العقل أمانة عند الرجال لا يلحقه خطأ ولا يعتريه عيب أو قصور. أما عند المرأة فإننا نجدها بطبيعتها شيئا مخزيا ومخجلا حقا>>[3]. وهنا يصبح العقل هو المعيار الذي يخول للرجل سلطته و تحكمه.

---

* سيمون دي بوفوار : (1908-186) كاتبة و مفكرة فرنسية و فيلسوفة وجودية و ناشطة نسوية من أهم مؤلفاتها الجنس الآخر، كيف تفكر المرأة .

1 – سيمون دي بوفوار ، الجنس الأخر ،ج2، تر: سحر سعيد دار الرحبة للنشر و التوزيع،ط1، دمشق ، سوريا،2015 ص08.

2 – إمام عبد الفتاح إمام ، الفيلسوف المسيحي والمرأة ، مكتبة مدبولي للنشر ، ط 01 ،القاهرة، مصر، 1993، ص52.

3 - المرجع نفسه ، ص68.

وباختصار شديد: يمكن أن نلخص نظرة فلاسفة الدين، الذين لم ينظروا للمرأة نظرة إنسانية، فلا يرونها إلا وعاء لإشباع رغباتهم الشهوانية، كونهم لا ينظرون إلا للجزء الأسفل من جسم المرأة، أما الجسم العلوي حيث يوجد عقلها فلا يعيرونه أي اهتمام ولا يرون المرأة إلا ناقصة عقل.

ب– المرأة الفيلسوفة قديما:

شكلت المرأة ثابتا من ثوابت الوعي الإنساني طيلة تاريخها، واحتلت مكانها المناسب إلى جنب الرجل فحيث ما كان هناك ألهة كانت هناك ألهات، وحيث كان هناك ثوار ينازعون الظلم هناك ثائرات، بل هناك منفيوين كان هناك منفيات. وكانت "هيرا" زوجة "زيوس" تشاركه السيادة على الكون، بل وغالبا ما كانت تفشل بعض خططه، وكانت هناك "سافو" تلك الشاعرة التي عانت وقاومت الدكتاتورية في مدينتها لينتهي بها الأمر إلى النفي.

لم تكن المرأة بعيدة عن الرجل في ما يسعده أو يعانيه، بل كانت شريكا أساسيا في حياته، غير أن التحول المجتمعي نحو الذكورية وتشييدها جعل مكانة المرأة تشوبها شوائب وتم النيل منها لإبعادها عن الصورة التي تستحقها .

و على الرغم مما تحفل به ميثولوجيا العالم القديم في مختلف بقاعه من الآلهات الفاعلات الى جنب الآلهة الذكور و هو ما تحفل به ثيولوجيا "هزيود" أيضا، إلا أن أول نص يظهر انحيازا عدائيا ضد المرأة نجده عند هزيود حين يجعل المرأة أساس الشرور في العالم.

فاذا كانت "هيلين" بمساوئها جلبت الشرور على بلاد اليونان برحيلها مع "بارس"،الا أننا نجد "بنيلوب" في الجهة الأخرى تلك الوفية التي رفضت إغراءات الخطاب وأصرت على انتظار زوجها الذي تضاربت الأقوال عن مصيره.

وقد تضاربت المواقف حول المرأة مع انبعاث التفكير الفلسفي النسوي، ولعل أول مدرسة انفتحت اتجاه المرأة وأعطتها حق مشاركة الرجل في تأملاته الفلسفية والفكرية، هي المدرسة الفيثاغورية. ويسجل لنا التاريخ الفلسفي دورا بارزا لزوجة فيثاغورس ثيانوا* بالذات في الشروح التي قدمتها حول آراء فيثاغورس، بل لعل أهم إشكالية في فلسفته والتي اختلف البعض في فهمها، كان لثيانو الدور في توضيحها وهي مشكلة العدد الفيثاغوري وعلاقته بالأشياء فالذي بقي من اثارها نص مهم توضح به هذه المسالة اذ تقول.<<غير أن فيثاغورس لم يقل أبدا إن الأشياء (الحسية) نشأت عن الأعداء أو أنها مصوغة من العدد، بل ذهب إلى أن الأشياء صنعت وفقا للعدد على اعتبار أن النظام بمعناه الأولى، إنما يوجد في العدد وأنه عن طريق المشاركة في الأعداد، فإن الأشياء التي ظهرت أولا ثم ظهرت ثانيا و ما تلاها – قد تعينت بأنها يمكن أن تعد>>[1].

* ثيانو : حوالي 500 قبل الميلاد ، فيلسوفة فيثاغورية و زوجة الفيلسوف فيثاغورس تخصصت في مجال فلسفة الأخلاق ساهمت في تقديم تفسيرات في الفلسفة الفيثاغورية خاصة مسألة خلود الروح و تناسخ الأرواح.

1- إمام عبد الفتاح : نساء فلاسفة ، مكتبة مدبولي للنشر ،د ط ، القاهرة، مصر ، 1996،ص65.

كما نجد سيدة أخرى كانت تسعى لتشجيع النساء على التفلسف وهي الفيثاغورية بركتيوني*. و التي حثت المرأة على أخذ دورها في مجال الفكر جنبا إلى جنب مع الرجل، حيث كانت تؤمن بالهارمونيا الكونية التي تكون "هارمونيا النساء" وهو عنوان كتابها، جزء منه والذي تركز فيه على الأوضاع الاجتماعية والأمور الأخلاقية للنساء، وهي تؤمن بالوضع القائم في المجتمع، وتجعله المصدر الأساسي للالتزام الأخلاقي. وعلى الرغم من تأكيدها على القيم الأخلاقية المتعلقة بطاعة الأبوين مثلا أو المسؤولية التي تحملها المرأة تجاه بيتها وزوجها وأطفالها. إلاّ أننا نلاحظ "بركتيوني" تنظر للمسألة نظرة عقلانية بعيدا عن الخضوع والطاعة العمياء، فإذا كانت طاعة الوالدين مثلا واجبة والتعامل معهم من شروط الهارمونيا الاجتماعية، إلاّ أنها تؤكد << أن الطاعة العمياء ليست مطلوبة، فاذا ماضل الوالدين فإنه يمكن لها أن تحثها نحو الطريق الصحيح و الفعل الحق وعدم الوفاء نحوهما يقلب موازين الهارمونيا>>[1].

– جوليا دونا:

كانت الامبراطورية الرومانية تعج بمخلف الثقافات والمثقفين و السوفسطائيين ومع ذلك فقد برزت نجمة امبرطورة وفيلسوفة هي جوليا دونا ** الامبرطورة الرومانية التي اكتسبت تقدير (فيلوستراتوس) و(ديوكاسيوس). فنجد الأول يصفها (الفيلسوفة جوليا) ويتحدث عن حلقتها الفكرية المؤلفة من علماء الرياضة والفلاسفة بل يذكر عن نفسه كونه أحد أعضاء هذه الحلقة، وقد بلغ علو شأنها أن إسمها نقش على ثلاثمائة وخمسين قطعة نقدية وثمانين مبنى من المباني العامة والتماثيل. إن انشغال "جوليا دونا" بالفلسفة وتكريسها لوقتها لها رغم مهامها الرسمية كامبراطورة، تمثل حالة فريدة إذ كانت الوحيدة من بين أولئك الذين نصفهم بوصف فلاسفة وربما مع استثناء واحد وهو ماركوس وأوريلوس[2]، الملاحظ أن هناك دور للنساء يفرض وجوده بالساحة الفكرية.

– ديوتيما :

وإذا كان سقراط يعد مفصلا فلسفيا انشطرت الفلسفة معه إلى ما قبله وما بعده ، كما أن ما يكفيه أن يكون معلما لأفلاطون الذي سرعان ما ترك ما كان يهوى من الشعر ليكون تلميذا نجيبا لأستاذه يرافقه طويلا حتى استشهاده

---

* بركتيوني : حوالي 300 قبل الميلاد فيلسوفة فيثاغورية من أهم مؤلفاتها هارمونيا النساء .

** جوليادونا : ولدت سنة 170 ميلادي امبراطورة و فيلسوفة سابقة لأفلوطين كرست نفسها لدراسة الفلسفة و لها حلقة فلسفية تضم علماء الرياضيات و الفلاسفة .

1 - المرجع نفسه ، ص 107.

2 - ماري إيلين ويث ، تاريخ النساء الفلاسفة في العصرين اليوناني و الروماني، تر: محمود السيد مراد ، مر محمد فتحي ، عبد الله ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، ط 01 ، مصر،د س، ص233.

فإننا نلاحظ مستوى الإكبار والمديح الذي يزجيه سقراط للنساء يقول أنهن مررن بحياته ، مثل ديوتيما* وأسباسيا فهو يفتخر بأن ديوتيماكانت معلمته في فن الحب وهو يلقبها بأنها امرأة حكيمة في هذا و في أنواع متعددة أخرى من أنواع المعرفة [1].

كما نلاحظ الثناء الذي يوجهه إلى "أسباسيا" حيث يذكرها كخطيبة مفوهة، وأنه إذا كان بإمكانه أن يتحدث وأن يرتجل خطبه، فما ذلك إلا لأنه تعلم على يد معلمة عظيمة هي "اسباسيا" حيث يقول: << إن كوني أستطيع ارتجال خطبة يامينكسينوس ليس بالأمر الذي يثير الدهشة، إذ تصادف أن من كانت معلمتي لم تكن غير حاذقة في فن الخطابة، بل أنها هي التي صنعت من آخرين كثيرين غيري خطباء مفوهين وأحدهم كان بركليس بن كساثيوس الذي تفوق على كل الإغريق>>[2].

ثانيا : جينيالوجيا الفلسفة النسوية (ضبط المفاهيم):

غرضي من هذه المقدمة هو استعراض مضمون الأفكار بعيدا عن الإملال، وما هو إلا استهلال وتوطئة عن بدايات الحركة النسوية وبعض من مفاهيمها التي تنغص القراء وتهيم بالمثقفين إلى معاني أخرى غير محسوبة على النسوية بأية حال، ولفض هذا التيه واللبس وحتى نزيل الشعر من الطحين، ولنكون فكرة غير ضبابية موزونة لذوي العقول وأصحاب الفضول، سوف نشرع في الخوض في تعريف وتفكيك بعض هذه المفاهيم المتعلقة بالموضوع.

– مفهوم الفكر التحرري:

كثيرا ما يثير مصطلح التحرر الفكري لبسا حول مدلوله وخاصة في الثقافة العربية، فقد ربط البعض مدلوله في ثقافتنا بالانحلال الأخلاقي لاسيما عندما تقوده المرأة.

غير أن المرأة في العصر الحديث ناضلت من أجل تحقيق التحرر، وأثبتت بأسا كبيرا في سبيل ذلك، الأمر الذي أدى إلى بروز ما يسمى بالفلسفة النسوية التي ناضلت من أجل إرساء قيم الحرية والعدالة، فباتت الفلسفة النسوية حركة فكرية أزاحت الغموض واللبس عن كل أمر سلبي ارتبط بالتحرر الفكري.

– مفهوم الفكر: جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة<< أن الفكر (ج)أفكار: وهو النشاط الذهني، إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول>>[3]، فالفكر حركة استدلالية تنتقل فيها من مقدمات معلومة إلى استنباط نتائج

---

* ديوتيما: عاشت بين القرنين 4 و 5 قبل الميلاد يقال أنها معلمة سقراط الذي تعلم منها فلسفة الحب.

1 - أفلاطون ، المحاورات الكاملة ، محاورة سيمبويوم، المجلد4، تر: شوقي داود ، الأهلية للنشر ، د ط ، بيروت ، 1994 ، ص152.

2 – عبد الله حسين المسلمي أفلاطون محاورة مينيكسينوس أو عن الخطابة، منشورات الجامعة الليبية للنشر، ط 1، ليبيا 1972، ص 235.

3 - أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصر ، المجلد 01، علا الكتب للنشر ، ط01 مصر ، 2008،ص1733.

مجهولة. أما جميل صليبا فيعرفه: <<وجملة القول أن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات >>[1]، وهذه الحركة الذهنية تأخذ صورا متعددة بالتحليل والتركيب والتأويل .

–مفهوم التحرر: هو<< الظاهرة التي يتخلص فيها الفرد من القيود التي كان خاضعا لها سواء كانت واقعية أو قانونية فيعمل المرء بوحي نفسه دون أن يتقيد بما يحظر عليه عمله، ومن أهم أشكاله تحرر المرأة والطبقة العاملة، والشعوب المستعمرة>>[2]. فالتحرر هو الفعل الذي من خلاله يكسب الفرد حريته، فقد تحدث كارل ماركس مثلا عن نضال البروليتاريا ضد البرجوازية. فضلا عن التحرر من قيود الطبيعة بواسطة العلم، والتحرر الاجتماعي والسياسي من الأنظمة الاستبدادية.

أما الفكر التحرري: << فهو صناعة واقع ذهني يختلف تماما عن الواقع الحقيقي المليء بالقيود الاجتماعية والدينية والسياسية >>[3]، بمعنى أنه تجرد من القيم والعادات والتقاليد التي تقيد الإنسان، وتجعله يخوض صراعات فكرية فالإنسان بصفة عامة والمرأة بصفة خاصة تسعى إلى التحرر من مختلف العوائق و الصعوبات المفروضة عليها.

– ذلك أن التحرر الفكري هو<< المحرك الأساسي لديناميكية تغير المجتمعات نحو الأفضل، ولا بد لكل امرأة أن تحرر نفسها من التعصب بجميع أنواعه ومن أفكار المجتمع العقيمة التي لا تخدم تطورها الذاتي مثل الزواج المبكر قبل نيل استقلالها المادي >>[4] إذن غاية الفكر التحرري هنا هو التخلص من جميع أشكال التطرف، لاسيما أن المرأة فرض عليها أن تعيش في أزمة فكر دائمة.

– مفهوم النسوية:

سجل تاريخ الفلسفة منذ انطلاقها غيابا مريبا لدور المرأة، حيث نادرا ما كان يشار إلى نساء متفلسفات بحكم طبيعة المجتمعات القديمة – شرقية كانت أو غربية– ، فقد ساد تغييب للمرأة عن الواجهة الاجتماعية مما انتهى إلى سيادة النظرة الذكورية، حيث صار التفلسف موقوفا على الذكور، وهي لصيقة بيتها يقتصر دورها على خدمة الرجل الفيلسوف.

---

[1] - جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، الجزء 02، دار الكتاب اللبناني ، د ط ، لبنان، 1982،ص 09.

[2] - بلمقدم يحي، تحرر المرأة الجزائرية الطالبة الجامعية نموذجا، مذكرة لنيل شهادةالماجيستر،تخصص علم اجتماع سياسي و ديني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان –الجزائر 2014،2015، ص 22.

[3] – طارق محمد أحمد ، الفكر التحرري ، مدونة و جهة المثقف عن موقع : Tareq99mohd.word press.com.بتاريخ 2020/06/05 على 14.50.

[4] – نيروز الشيحي المرأة العربية بين التحرر الفكري و الأخلاقي عن موقع : blog s-aL jazeera.net بتاريخ : 2020/06/05 على 13.50.

و إذا كان الواقع الاجتماعي قد فرض هذه الحالة، فان المريب أن يسعى بعض الفلاسفة إلى محاولة الارتقاء بهذا التهميش إلى كونه مرتبط بواقع طبيعي يجعل المرأة أقل قدرة على ممارسة النشاط الفكري بحكم طبيعتها.

و لكن إلى أي حد يمكن لهذه النظرة القاصرة بحق المرأة أن تستمر مع ظهور نخبة كبيرة من النساء المفكرات والمبدعات في الحقول المتعددة للعلوم و المعارف التي برزت عند أقرانها من الرجال ؟.كانت هذه الجهود لتلك النساء المبدعات والأمر المثير الذي دفع إلى محاولة إعادة الاعتبار لموقع المرأة في مجالات الحياة المتعددة والبحث في الأسس الاجتماعية وليست الطبيعية التي قادت إلى سيادة هيمنة الذكر وإقصاء المرأة، مما ولد حركة فكرية بدأت بالنمو لتتسع بإسهام رائدات ومناضلات تبنون النسوية .

يعد مفهوم النسوية من ابرز المفاهيم المثيرة للجدل كونها تسعى إلى إسقاط مركزية الذكر وتأكيد الذات الأنثوية وتبيان أن المرأة قادرة على إزاحة العقبات التي تعترضها.

–النسوية:لغةحسب<< ما ورد في قاموس أكسفورد مأخوذة من كلمة femele أو femine ، وتعني أنثى أنثوي أو من كلمة femina اللاتينية وتعني امرأة، ويستخدم مصطلح womemism الذي ترجم هنا نسوية في العالم الثالث feminisme الذي ترجم أنثوية بالعديد من الجوانب السلبية في أذهان نساء العالم الثالث>>[1] .

النسوية حسب "ليندا جين شيفرد" << بشكل عام هي كل جهد نظري أو عملي يهدف إلى مراجعة واستجواب أو نقد أو تعديل النظام السائد في البنيات الاجتماعية، الذي يجعل الرجل هو المركز والمرأة جنسا ثانيا أو أخر أدنى فتفرض عليها حدود وقيود وتمنع عنها إمكانات النماء والعطاء، فقط لأنها امرأة>>[2]، فالنسوية هي ذلك النسق الفكري الموجه نحو إزاحة وإزالة مختلف الممارسات القائمة على اعتبار أن الرجال أعلى مرتبة من النساء، وبالتالي تحطيم القيم الذكورية التي عرقلت الكيان الأنثوي في ظل السلطة الأبوية، ومراجعة أسسها وتفكيكها بغرض نقدها وتعديلها .

– مفهوم الفلسفة النسوية :

إن الإقصاء والتهميش الذي طال المرأة ولا يزال كذلك على الصعيدين الشخصي والفكري الذي تمخض عنه تيار فكري جديد من حيث التسمية قديم من حيث المبتغى والهدف، ونقصد هنا الحركة الفكرية النسوية، هذه الأخيرة لم تكن إلا ردة فعل مناهضة ورافضة للهيمنة الذكورية أو لنقل لكل التيارات التي حملت لوائها النسوة سابقا عبر عديد العصور، وجاءت ناجزة ومنتهية الشكل تحت التسمية الأنفة الذكر.

و بالعودة إلى الجانب التأصيلي للمصطلح نجد مايلي:

[1] - مثنى أمين الكرد ستاني ، حركات تحرير المرأة من المساواة الى الجدر ، تق: محمد عمارة ، دار القلم للنشر ، ط1، القاهرة ،مصر ، ، 2004 ، ص49.

[2] - ليندا جين شيفرد ، انثوية العلم ،تر: يمنى طريف الخولي ، عالم المعرفة للنشر ، د ط ، الكويت ، 2004 ، ص11.

<< ظهرت هذه الفلسفة في سبعينات القرن العشرين وكان المقصود بها كما جاء تعريفها في قاموس كامبردج للفلسفة هي تلك الفلسفة الرافضة لربط الخبرة الإنسانية بخبرة الرجل دون المرأة، حيث رفضت النظرة التقليدية في الفلسفة التي إستخفت بالمرأة (...) والتي أدت إلى التحيز الصريح للرجل داخل الفلسفة >>[1]. فالإنتاج الفلسفي ليس حكرا على نشاط الرجل الفكري.

<< أيضا هي اتجاه حديث في الفلسفة الغربية يبحث في الأسس والجذور المعرفية والتاريخية التي أدت إلى اختفاء المرأة من ميادين الفكر والعلم والفلسفة، حيث يقال الفلسفة النسوية في أفضل حالاتها فلسفة متطفلة على الفلسفة التقليدية>>[2].

معنى ذلك أنها تعمل على فضح الزيف الذي أبعد المرأة من الخطاب الفلسفي الذي احتكرته الذكورية لصالحها دون النظر للمجهودات الأنثوية، الأمر الذي أدى إلى حذف الخطاب النسوي داخل عالم الفلسفة.

كما تحاول تجاوز النسق الذكوري وإثبات الأهلية الأنثوية في الفلسفة، وبالتالي فهي تنقد وتحطم الفلسفات التقليدية القائمة على الانحياز للفكر الذكوري.

ثالثا : تاريخ الحركة النسوية الغربية والعربية

أ- تاريخ الحركة النسوية الغربية:

كان لتنامي الوعي الثقافي والجهد الاجتماعي الذي ،ساد بعد مرحلة التنوير الأوروبية و قيام الثورة الصناعية و ظهور عدد من المفكرين و الفلاسفة دور ،في إعادة النظر إلى النصف الثاني من الجنس البشري، نقصد هنا المرأة والسعي لتفعيله بالشكل الذي يسهم في البناء الحضاري إلا أن هذا الهدف لم يكن ليتحقق بالشكل المطلوب إلا بمراحل متعددة، فكأي حركة هادمة للسياقات الاجتماعية الموروثة لا بد أن تبدأ بالنمو التدريجي الذي يتساوق مع مدى الاستيعاب الاجتماعي لأهدافها ومقاصدها بالإضافة إلى قدرتها على تحدي المدافعين عن الثقافة الموروثة. وعليه نلاحظ أن الحركة النسوية* مرت بعدد من الموجات يمكن إجمالها كالآتي :

* الحركة النسوية : عقيدة تدافع عن حقوق اجتماعية و سياسية للنساء مساوية لحقوق الرجال ، حركة منظمة لتحقيق هذه الحقوق و تأكيد مطالب النساء كمجموعة و النظرية التي ابدعتها المرأة و الايمان بضرورة تغيير اجتماعي كبير من أجل زيادة سلطة النساء . نقلا عن :(غيردا ليرنر، نشأة النظام الأبوي ، تر: أسامة اسبر، الأب بولس وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع و النشر ، دط، دب، 1968،ص 445)

1 - خالد قطب و يمنى طريف الخولي و آخرون ، الفلسفة النسوية ، الخصوصية و الإبداع الحضاري، مجلة أوراق فلسفية، العدد 37، مصر2018 ص14.

2 - ليزا سعيد أبو زيد ، في نظرية المعرفة النسوية دراسة في فلسفة لورين كود ، تق: يمنى طريف الخولى مركز الكتاب للنشر،ط1،القاهرة،مصر2019،ص15 .

-الموجة النسوية الأولى :

امتدت من القرن 18 إلى غاية القرن 20 كانت غاية النسوية في موجتها الأولى هي نيل المرأة بعض من الحقوق العامة التي يتمتع بها الرجل <<كذلك دأبت على تأكيد المساواة* بين الجنسين وأن الفوارق الطبيعية للمرأة لا تجعلها أقل مرتبة من الرجل>>[1].

حيث أن النسويات طالبوا بتحسين أوضاع المرأة وآمنوا بفكرة المساواة مع الرجل سواء الاقتصادية والاجتماعية التي حرمت منها المرأة، وركزوا على حق المرأة في التعليم والعمل والاقتراع، وقد سميت هذه الموجة بحركة تحرير المرأة <<فقد حاولت الموجة الأولى الاقتراب من النموذج الذكوري السائد كنموذج حضاري للإنسان، وكانت مفكرات وفلاسفة هذا الجيل (" ماري ولستون" **"جون ستيورت ميل" ،"هاربيت تايلور") وغيرهم متأثرات إلى حد كبير بآراء إنجلز وماركس لهذا سعت إلى نقد النظام البطريركي*** ووصفه بأنه نظام قمع اجتماعي، يقوم على أساس إعلاء جنس الذكور >>[2]. والمقصود من هذا الكلام أن هناك مفكرات عملوا على مواجهة الاضطهاد الذي عانت منه المرأة من خلال مؤلفاتهن ككتاب "ماري ولستون" دفاعا على حقوق المرأة، والتي أوضحت فيه أن النساء بحاجة إلى عقلانية والتي سنتوصل إليها عن طريق التعليم.

أيضا "جون ستيورت ميل" الذي طالب من خلال مؤلفه "استعباد النساء" بضرورة تحرير المرأة ومساواتها مع الرجل وذلك عن طريق تحسين أوضاعها، خاصة في المجال السياسي فالمرأة في تلك الفترة كانت محرومة من حق الاقتراع والعمل حيث بين << أنه ليس من العدل ولا من الإنصاف ولا من الأخلاق أن ننكر حق النساء مثل بقية الموجودات البشرية في اختيار العمل الذي يقمن به >>[3]، وأكد أن حرمان المرأة هو حرمان للمجتمع.

ورغم العمل والمجهودات التي بذلها النسويون والنسويات في هذه الفترة، – وكما ذكرنا سابقا في العنصر الخاص بالإرهاصات– أن صورة المرأة في عيون الفلاسفة ظلت تقريبا نفسها عند أفلاطون وأرسطو ، فهاهو ديكارت في ثنائيته الفلسفية القائمة على العقل والجسد ينسب العقل للرجل والمرأة يعتبرها مادة أي جسد.

---

* المساواة : تساوي الأفراد في الحقوق و الواجبات بحيث يكونون سواء أما القانون و هذا النوع من المساواة المدنية لا وجود له في الانظمة الاستعبادية و الإقطاعية .نقلا عن : (جلال الدين سعيد ، معجم المصطحات و الشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر ، دط، تونس ،2004،ص423).

**ماري ولستون: (1759-1797) فيلسوفة بريطانية و مناصرة لحقوق المرأة من أهم مؤلفاتها مظالم النساء .

*** النظام البطريركي(الابوي): يشير الى النظام الذي اشتق تاريخيا من القانون اليوناني و الروماني الذي لرب الأسرة فيه سلطة قانونية و اقتصادية مطلقة على أعضاء أسرته(...) يعني تجلي و مأسسة الهيمنة الذكرية على النساء و الأطفال في الأسرة و توسيع الهيمنة الذكرية على النساء في المجتمع عامة ، يتضمن أن الرجال يتولون السلطة في جميع مؤسسات المجتمع المهمة.نقلا عن :(غيردا ليرنر، نشأة النظام الأبوي، مرجع سابق ،ص ص 449-450).

1- يوسف بن يزة، انجازات الحركة النسوية العالمية ، مجلة الباحث،العدد01، د ب، 2014،ص42.

2 - عصمت محمد حوسو ، الجندر الأبعاد الاجتماعية و الثقافية ، دار الشروق للنشر ، ط01، عمان ، الأردن ،2009،ص48.

3 - جون ستيورت ميل استعباد النساء ،تر: إمام عبد الفتا إمام ،مكتبة مدبولي للنشر ، ط01 ،القاهرة ،مصر ،1998ص24.

أما فيلسوف العقد الاجتماعي"جون جاك روسو" فقد عمل على << توصيف وضع المرأة في الأسرة والمجتمع مختصرا دورها في الوظيفة البيولوجية داخل الأسرة >>[1].

فلا تخدعنا عبارته الشهيرة التي افتتح بها مؤلفه العقد الاجتماعي، والذي تغنى فيه عن الحرية والمساواة في الحقوق حيث قال << يولد الإنسان حرا >> [2].

فالإنسان في عرف روسو هو الرجل فقط، والمساواة التي نادي بها هي مساواة الرجال بالرجال، وليس النساء مع الرجال. إذن الفكر الروسوي قد حفز النسويات ودفعهن للنضال أكثر من أجل التصدي للأفكار المغلوطة عن المرأة، وتكوين أفكار تحررية جديدة عن المرأة، ورغم تلاشي هذه الموجه ،إلا أن نشاط الحركة النسوية لم يتلاشى فقد ظهرت موجة ثانية أكثر قوة.

– الموجه النسوية الثانية:

<<ظهرت في الستينات من تاريخ الفكر الغربي أساسا، ظلت مرتبطة بأصولها الاجتماعية والسياسية، فقد نشأت في إطار الأجواء الموارة لهذه الحقبة اشتد عود الليبرالية الأمريكية التي تدعوا إلى المساواة بعد تجحيم التفرقة العنصرية >>[3].

في هذه المرحلة بدأت الحركة النسوية تأخذ<< طابعا عالميا يشمل المرأة في جميع أنحاء العالم، حيث تجاوزت مطلب المساواة واعتمدت على النقد العقلاني ولغة التحرر من القمع السياسي والاجتماعي والجنسي>>[4]، وذلك لأن اهتمامات الحركة النسوية قد توسعت وأصبحت تعمل على تحقيق المطالب التي كانت تنادي بها سابقا، إضافة إلى نشر المفاهيم النسوية، كالجندر* بوصفه أداة تحليلية من أجل تحقيق الوعي الأنثوي**.

---

[1] - علي عبود المحمداوي و آخرون ، الفلسفة النسوية في فضح ازدراء الحق الأنثوي و نقضه و التمركز الذكوري و نقده ، منشورات الاختلاف و منشورات الضفاف ، ط01، الجزائر -لبنان 2013،ص77.

* الجندر: (الجنوسة)(الدور الاجتماعي) ظهرت مقولة الجنوسة في أعمال المفكرات خلال تحليلهن للعلاقات الاجتماعية و بحثهن عن أسباب هيمنة الذكور على الاناث و قد ساد الاعتقاد لدى معظمهن بأن الجنس طبيعة بيولوجية محددة أو ماهية ثابتة في البنية الوراثية بينما الجنوسة غير معطاة بيولوجيا و إنما هي نتيجة سيرورة اجتماعية تحدد الأدوار و السماة في طرق متنوعة أي أن الجنوسة تتشكل كمجموعة من المعايير الاجتماعية حول السلوك الخاص في الأفراد حسب جنسهم.نقلا عن : (خديجة العزيزي ، الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي ، دار بيسان للنشر ،ط1،بيروت لبنان ،2005،ص31).

** الوعي الأنثوي : هو الشعور و الإدراك بمشكلة التمييز الواقع على النساء نتيجة لكونهن نساء بالأساس و الالتزام بقضايا النساء من هذا المنطلق.نقلا عن :(هند محمود و شيماء طنطاوي ، نظرة للدراسات النسوية ، مر: أحمد الدريني ، منشور برخصة الابداع المشاعي للمصدر ،ط1 ، 2016 ، ص25).

[2] - جان جاك روسو ، العقد الاجتماعي ، تر: عادل زعيتر ،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، د ط ، القاهرة،مصر ، 2012،ص24.

[3] - ليندا جين شيفرد ، أنثوية العلم ، مرجع سابق ،ص12.

[4] - مية الرحبي ، النسوية مفاهيم و قضايا ، دار الرحبة للنشر ، ط01،دمشق،سوريا ، 2014،ص17.

كما عملوا على إعادة بناء صورة جديدة للمرأة، مغايرة للصورة السابقة التي كانت سائدة في ظل النظام الأبوي الذي جرد المرأة من هويتها واعتبرها أقل من الرجل، إذ أن الرجل يتسم بالقوة والجبروت والمرأة بالضعف والاستسلام.
فبحثوا عن أسباب هيمنة الذكور على الإناث، وانتقاد ومحاربة القوانين التي اضطهدت المرأة سواء من الناحية السياسية أو من الناحية الاقتصادية، و تبلورت أعمال الناشطات النسويات في مؤلفاتهن، حيث نجد كتاب "كيت ميليت"* "السياسة الجنسية" وكذلك كتاب "أصل العائلة" لفريدريك إنجلز، ودراساته هو وماركس في هذا الإطار الذي يبرز بشكل واضح أن النظام الأبوي سعى إلى اضطهاد المرأة، و جعلها تابعة له اقتصاديا وإسقاط الحق الأموي [1].
أي أرجع انجلز التبعية المفروضة على المرأة إلى أصول الملكية الخاصة، وكذلك مؤلف "بيتي فريدان"** اللغز الأنثوي <<الذي ألقته نتيجة الاستبيان الذي آجرته على زميلاتها في الدراسة، حيث حاولت أن تعرف من خلاله مصيرهن بعد الدراسة ، و منه تجسد نضالها من أجل المساواة بين الجنسين>> [2].

في هذه المرحلة اكتسبت الحركة النسوية وعيا فكريا جديدا، <<استهلت هذه الموجة من الكتاب العمدة للفيلسوفة الوجودية الفرنسية "سيمون دي بوفوار" "الجنس الثاني" 1949، وإعلانه أن المرأة لا تولد امرأة، بل تصبح امرأة إشارة إلى الدور الكبير الذي يقوم به المجتمع في صياغة وضع الأنثى>>[3]، إذ يعد كتاب "الجنس الثاني" بمثابة إنجيل الحركة النسوية ، ففي هذه المرحلة تطورت وتقدمت المطالب النسوية وعملت على انتقاد الهوية الأنثوية النسوية وبالتالي عملت على تصحيح أوضاع ذهنية الإنسانية جمعاء (نساء ورجال) ودافعت عن مكانة وقيمة المرأة في المجتمع.

* كيت ميليت: (1934-2017) كاتبة و ناشطة نسوية أمريكية من أهم مؤلفاتها كتاب السياسة الجنسية.

**بيتي فريدان: (1921-2006) كاتبة و ناشطة نسوية أمريكية من أشهر المؤثرات في الموجة الثانية من أهم مؤلفاتها اللغز الأنثوي.

[1] - أحمد عمرو ، النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية قراءة في المنطلقات الفكرية التقدير الاستراتيجي الثامن د ط، د س ، ص 143.

[2] - بيتي فريدان ، الغز الأنثوي ، تر :عبد الله بديع فاضل،دار الرحبة للنشر و التوزيع ، ط01، دمشق ،سوريا ، 2014،ص06

[3] - ليندا حين شيفرد ، انثوية العلم ، مرجع سابق ، ص13.

ثم تفرعت الحركة النسوية في هذه الموجة إلى تيارات، يمكن توضيحها من خلال المخطط الآتي[1]:

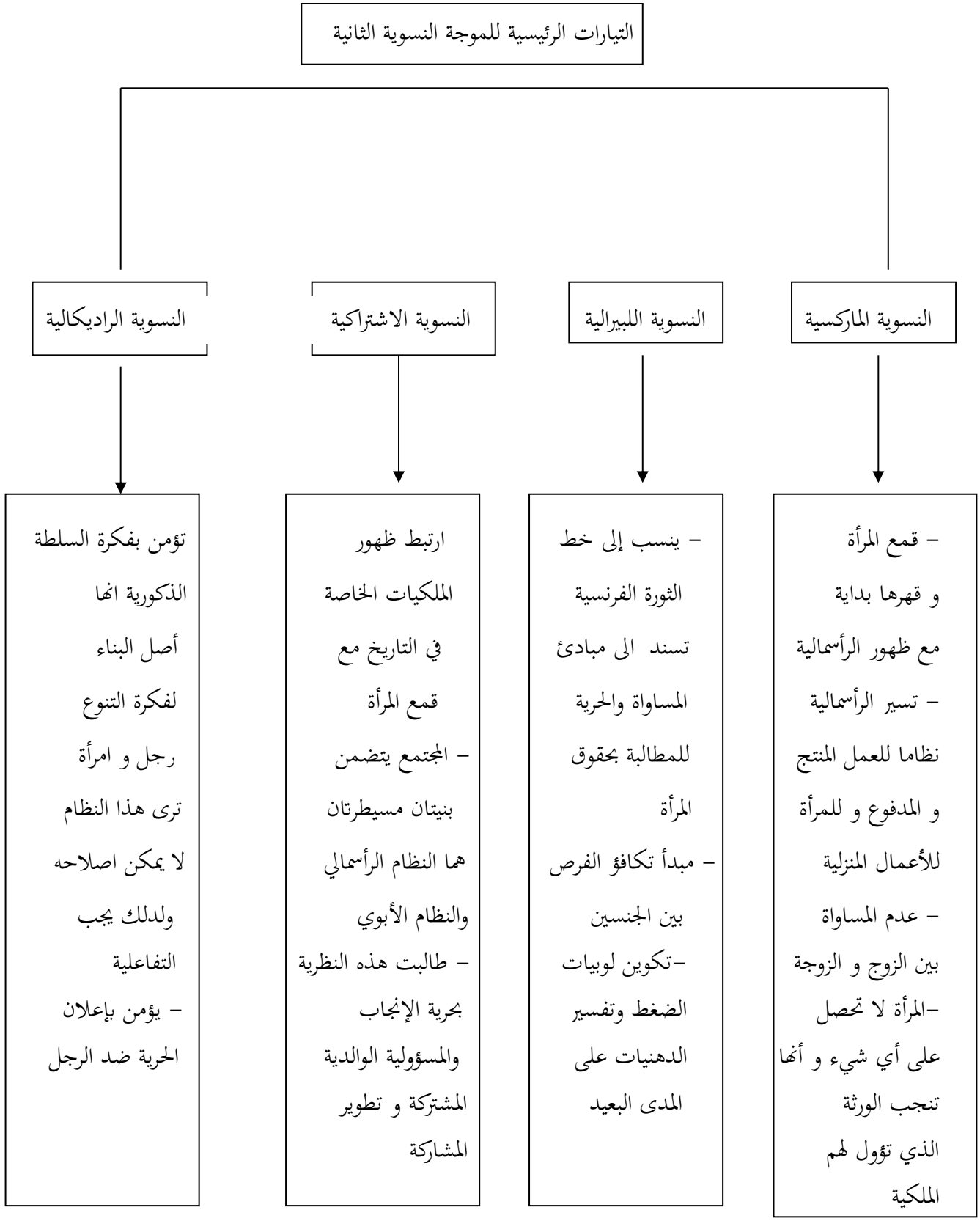

[1] – أحمد عمرو ، النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية ، مرجع سابق،ص ص(14-.14).

-الموجة الثالثة:

عاصرت هذه الموجة<< ازدهار التعددية والابتعاد عن الايدولوجيا، وتعود جذورها إلى منتصف الثمانيات من القرن 20 حيث دعت الناشطات النسويات إلى شخصية جديدة للنسوية، وقد تم التركيز على التقاطع بين العرق والنوع الاجتماعي، مما أدى إلى تزايد نسبة الناشطات النسويات>>[1]، فالنسوية في هذه المرحلة ظهرت بحلة مغايرة للموجة الثانية، إذ عملت على إعادة بناء الحركة النسوية وقد ركزت على القضايا المرتبطة بالنوع والعرق والتوجه الجنسي. ويطلق عليها نسوية ما بعد الحداثة.

وتميزت أيضا بتأثر ناشطات الحركة النسوية بآراء فلاسفة ما بعد الحداثة مثل "ميشال فوكو" و"جاك دريدا"، حيث شكل نقد هؤلاء لمفهوم العقلانية ومركزية العقل والتعريف الواحد للحقيقة بين الفكر النسوي والفكر ما بعد الحداثة[2] ومنه نجد فلسفة ما بعد الحداثة كالفلسفة التفكيكية عند دريدا لها دور في توجيه نشاط الحركة النسوية، التي عملت على نقد مركزية الذكر في الأطر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، حيث رفضت هذه الموجة الفصل بين الجنسين مع الميل وإعطاء أولويات للجنس الآخر، ثم التأكيد على أن الحصول على الحقوق الكاملة لا يعني التشابك بين الجنسين إطلاقا، أي تحقيق التكافؤ بين الجنسين و تمتعه بنفس الامتيازات.

إن الاختلاف الأساسي <<بين الموجة الثالثة و الموجة الثانية هو أن النسويات في الموجة الثالثة لا يجدن بأسا من التناقض لأنهن نشأن وسط بنيات نسوية متناقضة فأصبحن يقبلن التعددية كأمر مسلم به>>[3].

ب/ تاريخ الحركة النسوية العربية

- الموجة الأولى :

كانت ممتدة من بدايات القرن19 الى غاية منتصف القرن 20 حيث مثل الانفتاح على الحضارة الغربية منعرجا حاسما في تاريخ الفكر التحرري العربي بشكل عام و النسوي بشكل خاص ، فبعد دخول نابليون بونابرت إلى مصر انفتح العقل العربي على أفكار جديدة جعلته منبهرا تارة و مستغربا تارة أخرى حيث كان << ظهور الوعي النسوي في الوطن العربي متزامنا مع الوعي القومي منذ بدايات القرن 19 أو ما يسمى بعصر النهضة حيث زاد اختلاط العرب بأوروبا و توسع انفتاحهم على حضارتها و ثقافتها إذ استلهم مجموعة من المثقفين العرب من الحضارة الغربية >>[4].

---

[1] – يوسف بن يزة: انجازات الحركة النسوية العالمية ، مرجع سابق ، ص44.

[2] - عصمت محمد حوسو : الجندر و الأبعاد الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص 52.

[3] - سارة جامبل :النسوسة و ما بعد النسوية ، تر: أحمد الشامي ، المجلس الأعلى للثقافة و النشر ،ط1، القاهرة ، مصر، 2002،ص88.

[4] – حداد ناريمان ، الحركة النسوية العربية عبر شبكات التواصل الاجتماعي، مذكرة لنيل شهادة الدكتورة ، تخصص اعلام واتصال ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعةبسكرة ،الجزائر،2019،2018،ص200

ذلك أنه عندما قامت الثورة الصناعية في الغرب كانت المجتمعات العربية تحت رحمة الاستعمار الجاثم الذي قام بنهب الثروات و مصادرة الحريات و إتباع سياسة التجهيل، مما جعل الشعوب العربية تعاني من الأمية و الجهل و الفقر وطبعا حال المرأة كان اشد سوء لأنها كانت تعاني من الناحيتين ، فجرائم الاستعمار على المرأة لا تزال متواصلة من (قتل،إغتصاب، تعذيب) و من ناحية أخرى لكونها لا تزال تقبع تحت وطأة العادات و التقاليد الأبوية ، هذه الأوضاع التي عاشتها المرأة أدت إلى عزلها عن الواقع المعاش ،و للنهوض حمل المتنورون العرب المشروع العربي النهضوي و عمت حركة النهضة العربية التي سعت إلى تنبيه العرب الى ماضيهم و إدراك واقعهم المتخلف ، حيث عملوا على بناء مستقبل أفضل و كان رواد و قادة الفكر التنويري و دعاة التحرر السياسي يرون أنه لا يمكن تحرير المجتمع إلا بتحرير المرأة >>[1].

و تلخصت المطالب النسوية في هذه المرحلة حول المطالبة خاصة بحق المرأة في التعليم و العمل و رفض تعدد الزوجات و عدم إجبار المرأة على ارتداء الحجاب ، كما يرى العديد من المفكرين الإصلاحيين الذين اهتموا بقضية المرأة أمثال جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و المعروف بمواقفه الواضحة حول قضية المرأة إذ كان<< جريئا في التعبير عن رأيه حول وضع المرأة فشجب تعدد الزوجات باعتباره مخالفا للإسلام و أدان الممارسات السائدة من نظام الجواري و استبعاد النساء و استشهد بالقرآن الكريم باعتباره لصالح تعليم النساء و زعم أن تخلف المرأة العربية ضار بمستقبل الشعوب العربية>>[2].

و على هذا الأساس أقر أن النهضة لا تتحقق إلا بالإصلاح و هذا الإصلاح لا يتم إلا بعلاج الأسرة و نواتها أي المرأة أيضا دعى إلى الفهم المتنور للدين حتى لا تظلم المرأة انطلاقا من الدين ، ووقف ضد الحجاب لأن الشريعة لم تنص عليه كما ركز على تعليم المرأة كونه السبيل الأول الذي يؤهل المرأة للقيام بوظيفتها الأساسية كأم و زوجة.

بالإضافة إلى هذا نجد رائد أخر لمسألة المرأة في هذه المرحلة ،هو رفاعة الطهطاوي الذي ربط تخلف المجتمع بتهميش المرأة فاهتم بمشكلة تعليم المرأة و هذا يرجع إلى انبهاره بثقافة و مستوى تعليم المرأة الغربية و رأى أن تعليم المرأة حق من حقوقها المشروعة و هو مرهون بتقدم المجتمع و بالتالي فإن <<إنصاف المرأة العربية و تحريرها رهين مهمات عدة أهمها تمكينها من حقها في التربية و التعليم و من حقها الشغل و حقها في المساواة مع الرجل أي تفكيك البنية البطريركية و الاستبدادية للمجتمع العربي>>[3].

[1] – مية الرحبي، النسوية مفاهيم و قضايا ، مرجع سابق،ص47.

[2] – كوماري جايا، النسوية القومية في العالم الثالث ، تر: ضحوك رقية و عبد الله فاضل ، دار الرحبة للنشر و التوزيع،ط1،دمشق،سوريا،2016،ص117.

[3] – زهير الذاوي ، نهج رفاعة الطهطاوي ، المشروع الحضاري المناقض للاستبداد،مجلة الموروث ، العدد04،تونس،2014،ص179.

كما طالب قاسم أمين في العديد من كتبه و مقالاته التي أثارت ضجة حول ضرورة تعليم و عمل المرأة لأنها نصف المجتمع و أكد أن عمل النساء و الرجال لا يتعارضان خاصة في مؤلفه المرأة الجديدة و كتاب تحرير المرأة الذي حاول من خلاله توضيح أسباب تفوق الرجل و تدني مكانة المرأة فيقول << فإذا فاق الرجل المرأة في القوة البدنية و لعقلية فذلك إنما لأنه اشتغل بالعمل و الفكر أجيالا طويلة و كانت المرأة محرومة من استعمال القوانين >>[1].و مما لا شك فيه أن قاسم أمين لم يكن رجلا عاديا في تاريخ الحركة النسوية العربية لأن أفكاره انتشرت بسرعة و كانت صدى لمفكرين و مفكرات جئن بعده حيث ساهمت في انتشار الوعي النسوي عن طريق مهنه التعليم و الصحافة مثل<<عائشة تيمور (1840-1902) و هي من الرائدات اللواتي نشرت مقالات أدبية في الصحف في القرن التاسع عشر و كانت من النساء السافرات (كاشفات الوجه)كما نشرت ديوانا شعريا تعاطفت فيه مع قضايا المرأة ايضا ملك حنفي ناصف أو باحثة البادية (1886-1918) شاعرة و كاتبة ساهمت في نشر الوعي النسائي عبر مهنة التعليم التي مارستها ألفت كتاب النسائيات و كتاب حقوق المرأة لكنها لم تصل بكتاباتها الى ما وصل اليه قاسم أمين آنذاك>>[2]. و عموما يمكن القول أن النضال النسوي في هذه المرحلة ارتبط باسم المناضلة و الناشطة النسوية هدى شعراوي التي تبنت الدفاع عن قضية المرأة بشكل مباشر و هذا ما أثبتته الدراسات << التي تناول الحركة النسائية في مصر تحليلاتها بالمشاركة النسائية في ثورة 1919 الوطنية و ما تلاها من صعود النشاط النسائي المرتبط باسم هدى شعراوي>>[3].كما أسست الاتحاد النسائي المصري سنة 1923 إلى جنب 25 جمعية نسوية من بينها جمعية المرأة الجديدة و التي تضمن اسمها عنوان كتاب قاسم أمين << ضمت سيدات و آنسات مصريات بغرض إعلاء شأن المرأة و عمل الخير من أجل الإنسانية>>[4]. شاركت في العديد من المؤتمرات و الملتقيات الدولية التي تحمل مشعل الاستنارة و تخوض معركة دائمة دفاعا ،عن حقوق المرأة العربية كملتقى باريس وروما حيث حاربت السيدة هدى شعراوي تعدد الزوجات وطالبت ،برفع سن الزواج بالنسبة للفتيات لتكون بذلك حاربت زواج القاصرات و ضغطت على الحكومة من أجل،فتح مقاعد في التعليم العالي للفتيات و لقد كان ما<< ينادي له الاتحاد النسائي المصري موقع تقدير الرأي العام و كانت الصحافة تؤيد المطالب التي تنادي بها ليس باعتبارها مطالب نسائية و إنما باعتبارها في الواقع مطالبة بالإصلاح الاجتماعي>>[5]، مع وفاة هدى شعراوي سنة 1948 يمكن القول أن الموجة النسوية العربية الأولى قد انتهت ، و ظهرت موجة أخرى أكثر نضج ووعي وقوة.

[1] – قاسم أمين ، تحرير المرأة ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، دط ، مصر ،2012،ص18.

[2] – مية الرحبي ، النسوية قضايا و مفاهيم ، مرجع سابق،ص54.

[3] – نادية العلى، الحركة النسائية المصرية،تر:مصطفى رياض،المجلس الأعلى للثقافة و النشر ، ط01،مصر ،2002،ص81.

[4] – آمال كامل بيمومي السبكي، الحركة النسوية في مصر ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب للنشر،دط،مصر،1986،ص103.

[5] – هدى شعراوي، مذكرات هدى شعراوي،مؤسسة هنداوي للتعيم و الثقافة ،دط،مصر،2012،ص256.

– الموجة النسوية الثانية :

لا يمكن الفصل بين ما سيتحق منذ نهايات السبعينات من القرن الماضي من ظهور الحركة النسوية بموجتها الثانية و بين ما ظهر في منتصف القرن قبلها ، فإذا كانت الناشطات النسويات في الموجة الأولى تتخذ من الصحافة و الإعلام و الصالونات الأدبية وسيلتها في التثقيف بضرورة المطالبة، بحقوق المرأة فإن ما تحقق في منتصف القرن العشرين أن المطالبات باتت تتخذ صيغة جديدة تمثلت في السعي لنقل المطالب الى رأس السلطات السياسية و السلطات التشريعية و من بين الشخصيات التي قادت هذه المرحلة هي :

درية شفيق التي شكلت منظمة نسائية و ترأستها اسمها اتحاد بنت النيل و هي جمعية سعت من خلالها لتحقيق هدفين أساسيين هما الرفع من مستوى الأسرة المصرية ثقافيا و اجتماعيا و صحيا و الثاني هو إصدار التشريعات التي تحقق حماية الأسرة و تجنبها المخاطر المتولدة عن النظرة المتخلفة للمرأة و الهدف الأخير له أهمية لأن درية شفيق سعت إلى تحقيقه بمختلف السبل مثلا<< قادت درية شفيق على رأس حملة مناضلة من أجل الحقوق السياسية للنساء ،جماعة من النساء في اعتصام في البرلمان عام 1951>>[1]، كما وجهت مطالبها إلى محمد نجيب و هو تطور لافت فرغم أن مطالبها كانت تنتمي إلى حركة التحرر من الاستعمار فهاهي << السيدة درية شفيق وجهت خطابا خطيرا لقائد القوات المسلحة – محمد نجيب– حيث قالت أنها بوصفها ممثلة لجميع نساء مصر سنة 1952 تطالب بشرف الخدمة العسكرية ، و أن القائد محمد نجيب لم يبتسم لهذا الطلب فحسب بل وعد بالاهتمام به>>[2]فإن مطالبتها بالسماح للنساء بالانخراط في الجندية يؤشر الشعور بالحاجة إلى المساواة بينها و بين الرجل في حق الدفاع عن الوطن كما أن شفيق لم تتراجع عن التأكيد عن أحقية النظر في إنصاف المرأة على المستوى الدستوري فحيث تم الإعلان عن النية في إصدار دستور جديد لمصر ،ازدادت مطالبتها وأمام ما قامت القوى الرجعية المتمثلة في رجال الدين و ردودهم المعادية لمطالبها فقد قامت درية شفيق بالإضراب عن الطعام ولم تتوقف إلا بعد أن تم منحها تأكيدات بالاخد بمطالبها النسوية بعين الاعتبار في نصوص الدستور و يمكن عد هذا تتويج لنضالها و الذي أدى إلى إعطاء المرأة حق الترشح إلى البرلمان عام 1956 ومع السعي للحفاظ على استقلاليتها ومواقفها فقد اتخذت موقفا مناهضا لجمال عبد الناصر مما دفع إلى الضغط عليها للدفع بها الى الانتحار السياسي الا انها أنهت حياتها بالانتحار.

[1] – ماجو بدران، رائدات الحركة النسوية المصرية و الإسلام و الوطن ، تر: علي بدران المجلس الأعلى للثقافة و النشر، دط،مصر،2000،ص339.

[2] – محمد فهمي عبد الوهاب، الحركات النسائية في الشرق و صلتها بالاستعمار و الصهيونية العالمية، دار الاعتصام للنشر ، دط، القاهرة ،مصر ،1979،ص48.

وقد ظهرت فيما بعد أسماء أخرى فالوطن العربي ،كاسيا جبار في الجزائر و أمال الباشا في اليمن ومنجية السوايحي في تونس و فاطمة المرنيسي* في المغرب ، واللاتي ساهمن في هذه الموجة التي يمكن القول إجمالا أنها لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا.

و يمكن القول أن ظهور أول إبداعي "لنوال السعداوي "**عام 1957(تعلمت الحب) يشكل أهمية في رسم الأهداف التي سوف يدور حول تحقيقها نشاط الموجة الثانية و الذي سوف يترسخ لاحقا بظهور عملها المرأة و الجنس الذي يمكن عده البيان التأسيسي لهذه الموجة حيث ،نلاحظ نوال في مجموعتها القصصية الأولى (تعلمت الحب) تتناول الكثير من المشاكل و المعاناة التي تواجهها المرأة و كذلك الظلم الذي لحقها ،كما أنها اتسمت بالجرأة في تناولها لبعض ما أصبح يعد طابوا لا يجور مسه أو الحديث عنه حيث، نلاحظ أن الجنس و الدين و السلطة و هي المحرمات الثلاث التي شغلت نوال منذ أول عمل لها وصولا إلى كتاب الرجل و الجنس و كذلك المرأة و الجنس.

حيث << تهاجم نوال السعداوي في كتابها الذي أثار الجدل و كذلك روايتها التحكم الأبوي في الشعور الجنسي للمرأة و قد جعلت من بعض الموضوعات المحرمة مثل ختان الإناث و الاعتداء و الاستغلال للجنسين قضايا عامة و بادرت بايجاد اتجاه نسائي يختلف عن ما سبقه من اتجاهات >>[1]و بهذا يكون تأثير نوال في هذه الموجة لا يختلف كثيرا عن تأثير سيمون دي بوفوار في الموجة الثانية للحركة النسوية الغربية و بهذا تكون نوال رائدة تحرير المرأة و المنطلق الفعلي لهذه الموجة وهو ما دفعني لاجعلها انموذجا ادرسه في هذه المذكرة.

*فاطمة المرنيسي:(1940-2015)كاتبة مغربية وعالمة اجتماع و ناشطة نسوية ، من أهم مؤلفاتها: الحريم السياسي،و شهرزاد ليست مغربية.

**نوال السعداوي:ولدت في (كفر طلحة) بمحافظة الدقهلية عام 1931 من أسرة متوسطة الحال كان أبوها موظفا بوزارة المعارف و قد لعب دورا كبيرا في حياتها فمنه تعلمت التمرد على قيود المجتمع وان الثوابت التي لا تؤمن بها هي أصنام يسهل تحطيمها ، أما أمها فهي سيدة ريفية بسيطة ورثت عنها ابنتها تحمل المسؤولية أتمت نوال السعداوي دراستها الجامعية ،و تخرجت من كلية الطب عام 1955 وعلى الرغم من الصراع الدائم داخلها بين الآداب و الطب فقد كانت مؤلفتنا طبيبة مشاكسة و أديبة مثيرة للأسئلة ، تزوجت ثلاث مرات و اسمر زواجها ولدا وبنتا، و كان زواجها الأخير من شريف حتاتة هو الذي دفع بها غالى العالمية بترجمتها الى اللغة الانجليزية . كتبت نوال أكثر من خمسين عملا متنوعا بين الرواية و القصة و المسرحية و السيرة الذاتية و عزفت بقلمها على الثالوث المقدس (الدين،الجنس، السياسة) لتقوضه فهي تدعوا المرأة أن تتحرر من قيد عبودية الرجل والمساواة بها .من أهم مؤلفاتها كتاب الأنثى هي الأصل ، الوجه العاري للمرأة العربية ، الرجل و الجنس ، المرأة والجنس كسر الحدود، تؤام السلطة والجنس و على الرغم من جهدها في الدفاع عن قضايا المرأة المصرية والعربية ، فان الاحتفاء بها جاء من عدة دول غير عربية كما أنها رشحت لجائزة نوبل ويظل اسم السعداوي من أهم الأسماء المحفورة في تاريخ الفكر التحرري النسوي . نقلا عن موقع :WWW.HINDAWI.ORG / 2020/09/11-على11:20

[1] – نادية العلى ، الحركة النسائية المصرية ، مرجع سابق ، ص107.

الفصل الثاني

تمهيد:

لم تترك المفكرة و المناضلة النسوية نوال السعداوي قضية تمس المرأة العربية إلا و عالجتها و درستها كيف لا وهي زعيمة الحركة النسوية الرافضة لاضطهاد المرأة في ظل البطريركية التي أنتجتها الرأسمالية و كانت مواقفها المتعلقة بالمرأة جريئة و صادمة بالنسبة للمجتمع حيث نجدها رفضت عملية ختان الإناث و ما ينتج عنه من مشاكل جنسية تجعل المرأة تعاني طوال حياتها و ما يصاحبها من أضرار نفسية خصوصا و إنها كانت أحد ضحايا هذه العادة الوحشية كما قدمت لنا دراسة عملية عن احد الأمراض النفسية التي تصيب النساء منذ القدم إلى يومنا هذا دون أن ينتبه إليها احد إلا و هو مرض العصاب تصاب به النساء نتيجة القهر و الضغط الاجتماعي المفروض عليها أيضا تحدثت عن الحجاب و كيف أصبح دليل أخلاق المرأة في مجتمعنا معتبرة إياه رمز سياسي لا ديني أيضا عن الدور الاجتماعي الذي تجبر المرأة على التقيد به و هو الإنجاب و خدمة الرجل و طاعته رافضة إياه داعية المرأة للخروج إلى العمل كآلية للتحرر و إثبات ذاتها و تحقيق الاستقلال المادي.

لأن حسب رأيها المرأة التي لا تنفق على نفسها ليس لها مجال في صنع القرار إضافة إلى هذا انتقادها لصورة المرأة النمطية التي يروج لها المجتمع كونها مخلوق ضعيف مستعبد تسيره العاطفة لا العقل مبينة العكس أن الأنثى هي الأصل طبعا و العديد من القضايا لأن تحليلاتها كانت عبارة عن ثورة ضد الثالوث المحرم (الجنس، الدين ، السياسة) لكونها أهم القضايا التحررية الحساسة الاجتماعية التي لم تأخذ نصيبها بعد من الدراسة في الوطن العربي بحكم الطابوهات في دعوة منها إلى التمرد من أجل الإبداع و كسر الحواجز و الحدود سعيا منها لتحقيق المساواة بين الجنسين و إعادة تحديث قضايا الفكر التحرري.و السؤال المطروح هنا ماهي أهم قضايا الفكر التحرري عن نوال السعداوي؟.

أولا : الجدل السياسي للدين و الأخلاق

منذ فجر التاريخ كان الترابط جدليا بين الدين و الأخلاق و السياسة يؤثر أحدهما بالآخر سلبا أو إيجابا و غالبا ما كان الدين الناظم الروحي للإنسان الذي يتجسد في أخلاقه سلوكا مثلما يصوغ عواطفه و توجهاته و إذا كانت السياسة ظلت منظورا لها بصفتها الصورة الأعلى للأخلاق حيث تتجلى في الدولة فتصبح إدارة الدولة هي المقابل لإدارة الفرد لذاته فإن ما حصل من افتراق بين الأخلاق و السياسة إبان القرن 15 مع ظهور كتاب الأمير لمكيافيلي ليس إلا ما يمكن تسميته بالإعلان الرسمي لممارسات امتدت عبر التاريخ .

إن شواهد التاريخ تدل على أن السياسة استطاعت غالبا توظيف الأخلاق بل و الدين كذلك في ممارسات و سلوكيات أبعد ما تكون عن أهداف الدين و الأخلاق ، و لا شك أن مثل هذه الممارسات على الرغم من أنها شملت جميع الأفراد حيثما تمت ممارستها إلا أن النصيب الأكبر قد حظيت به النساء حيث تم توظيف الدين و السياسة و الأخلاق بما يساهم في اضطهاد المرأة تبعا لظروف أسباب تقول عنها نوال السعداوي .<< إن إعادة قراءة التاريخ القديم تكشف لنا عن الكثير من الأسباب الاقتصادية و السياسة التي أدت إلى قهر النساء و الفقراء من الشعب أخلاقيا و دينيا و هناك ترابط بين السياسة و الاقتصاد و الدين و الأخلاق و لا يمكن الفصل بين أحدهما .>>[1] فكما يقول ابن رشد إذا أردت أن تتحكم في جاهل فعليك أن تغلف كل باطل بغلاف ديني.

أ/ الجدل السياسي :

و في ظل الجدل السياسي ترى نوال السعداوي أن قضية المرأة هي قضية سياسية لها وزنها إذ تقول << إن قضية تحرير المرأة هي قضية سياسية بالدرجة الأولى لأنها تمس حياة المجتمع كله و أن تخلف المرأة و تكبيلها يقود إلى تخلف المجتمع كله>>.[2]

فكلنا نعرف اليوم أن السياسة هي المتحكم في توجيه الحياة الإنسانية العامة و الخاصة ، لهذا عندما نطرح قضية المرأة في إطارها السياسي نكون قد طرحناها في إطارها المجتمعي الإنساني و لو قمنا بفصل قضية المرأة عن المجتمع فهذا اعتراف منا بوجود تمييز و طبقية ولا مساواة ذلك أن الفصل بين العام و الخاص قد يؤخرنا عن لادراك حجم المشكلة لكن إذا قمنا بربطها بالمجتمع سوف نفهمها فهما صحيحا هذا الربط ليس معناه الاستعاضة عن قضية المرأة بقضية المجتمع بشكل عام كما يزعم اليساريون في إعتقادهم أن هذه لا تختلف تختلف عن قضية مجتمع، لأن حسب السعداوي قضية المرأة تختلف عن قضية المجتمع << من الأجدر لنا أن ندرس قضية المرأة داخل إطارها التاريخي الإنساني فندرك أن مشكلة المرأة مشكلة إنسانية لها سماتها الخاصة >>[3]

فنوال تحاول أن تبين كيف أن تخلف المرأة يؤدي إلى تخلف المجتمع من خلال اعترافنا بأن مكانة المرأة السياسية أقل من مكانة الرجل من ناحية القوانين التي يمكن من خلالها إخضاع المرأة و في نفس الوقت الإنقاص من حقوقها و عزلها ووجوب الرضى بتخلفها في حين يتمتع الرجل بكل حقوقه المدنية و السياسية و بالتالي نقدمه ، و هنا بالذات سوف نقع في إشكالية تقدم المجتمع من تخلفه فالمجتمع المحلي أو الدولي لن يستطيع أن يخطو خطوة للأمام و نصفه الأخر لا يزال مكبل و يعاني ولأن حرمان المرأة أو أي عنصر في المجتمع هو خسارة بكل الاعتبارات فهل العدالة أن تعاني النساء فقط؟

فكثيرا ما تسعى الحكومات العربية دائما إلى ضرب أي قوة أو أي مؤسسة في المجتمع المدني ترفع شعارا بمطالبة تولي المرأة للمناصب القيادية و أخدها دورها الحقيقي في المجتمع و هذه أحد أسباب تخلف مجتمعاتنا العربية لكن << انعزال النساء عن

1- نوال السعداوي ، عن المرأة و الدين و الأخلاق ، مؤسسة هنداوي سي إي سي للنشر ، دط ، مصر، 2017، ص20.

2 – نوال السعداوي ، الأنثى هي الأصل ، مؤسسة هنداوي سي إي سي للنشر ، د ط ، مصر ، 2017 ، ص24.

3 – عبد الوهاب الميسري ،قضية المرأة بين التحرير و التمركز حول الأنثى ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر، ط2،مصر 2010، ص 38.

الحياة السياسية العامة لن يستمر لأن غياب نصف المجتمع عن العمل العام هو غياب للمجتمع كله عن الحياة السياسية الدولية أو المحلية >>[1] فكثيرا من أصبح يبحث عن الأسباب التي أدت إلى إقصاء و إبعاد المجتمع العربي مثلا عن مضمار العمل السياسي العالمي و لعل ذلك يرجع إلى الانعزال السياسي للمرأة محليا متسائلين عن ضرورة المشاركة السياسية* للمرأة في الوقت الراهن و تمكينها ، لأن المجتمع لن يستطيع التقدم و هو تاركا خلفه نصف قوته معطلا و فعلا المجتمعات العربية تسير بنصف قوتها.

فهل أن الأوان ، و هل جاء الوقت لتأخذ المرأة دورها الحيوي في المجتمع العربي ؟

و بما أن النساء هن نصف المجتمع تطالب نوال بأحقية أن << تشكل النساء نصف أي مجلس نيابي أو تشريعي أو تنفيذي أو قضائي >>[2]. و رغم تشديد أغلبية الدساتير خاصة العربية بمطلب المساواة و حقوق المرأة و مدى استحقاقها و فوزها بالمناصب السياسية مثلها مثل الرجل كأن تصل أحيانا إلى منصب وزيرة أو نادرا ما تحظى بمقعد في البرلمان و غيرها لا تزال المرأة في كثير من البلاد العربية لا يسمح لها بمزاولة بعض المهن كأن لا يسمح لها أن تكون قاضية و هذا هو الحال مصر و رغم عدم وجود أي مادة في الدستور أو القانون المصري لا تبيح ذلك بل العكس من ذلك المادة 11 من الدستور تسمح بذلك . لكن قد << استطاع الرجال المسيطرون عليه منع دخول المرأة المصرية فيه حتى اليوم بحجة أن الإسلام جعل شهادة الرجل الواحد تساوي شهادة امرأتين و فسروا أن المرأة غير مؤهلة لتولي عمل القاضي لأن الشهادة لا تزيد عن تقرير حادثة في حين أن القضاء حكم في نزاع>>[3]

ثم حتى لو سلمنا بتمثيل المرأة في المجالس النيابية أو البرلمانية فإن وجودها يبقى قليل و بالتالي مشاركة المرأة العربية السياسية محدودة بمحدودية المناصب التي تصل إليها فالمرأة لا يمكن أن تنال حقوقها بشكل حقيقي،و ليس تمتع المرأة ببعض الحقوق دليل على أنها تتمتع بالمساواة مع الرجل . فلم << يحدث في أي بلد من العالم أن المرأة حصلت على المساواة الحقيقية بالرجل لمجرد حصولها على الحقوق السياسية فقط بالرغم مما يصاحب الاعتراف بهذه الحقوق من ضجة كبرى عن الديمقراطية و خطب رنانة عن حرية المرأة بل اتضح أنه في ظل الأنظمة الاقتصادية و الرأسمالية الأبوية كثيرا ما تستخدم أصوات النساء ضد النساء >>[4]

و مما لا شك فيه أن المجتمع بمختلف آلياته و هياكله المادية و المعنوية يعتبر داعما مستمرا لفكرة اللامساواة بين الجنسين إذ << تقود سلطة النوع الاجتماعي إلى توليد و مؤازرة استمرارية عدم المساواة التي تمنح للرجل المزايا و تحرم النساء منها ،كما أن وجود سلطة النوع الاجتماعي داخل القواعد التنظيمية و الروتين و السياسات يؤدي إلى تطبيع السيطرة الذكورية و تجعل وجود

*المشاركة السياسية:درجة اهتمام المواطن بأمور السياسة و صنع القرار فكلما زادت المشاركة السياسية كلما زادت قوة القرار السياسي و ابسط صور المشاركة هو التصويت . نقلا عن: (إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي الموسوعة المسيرة للمصطلحات السياسية عربي انجليزي، ددن، دط،2006،ص 398-399).

1 – نوال السعداوي، قضايا المرأة و الفكر و السياسة، مؤسسة هنداي سي إي سي للنشر ، د ط ، مصر ، 2017 ,

2 – نوال السعداوي ، نوال و الثورات العربية ، شركة المطبوعات للنشر و التوزيع ط01، بيروت لبنان ، 2013، ص150.

3 – نوال السعداوي ، الوجه العاري للمرأة العربية ، مؤسسة هنداوي سي إي سي للنشر ، د ط ، مصر، 2017 ، ص ص (123-124).

4– نوال السعداوي ، دراسات عن المرأة و الرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،ط2، بيروت ، لبنان 1990، ص814 .

المرأة غير مرئي >>[1].لأن السياسة العالمية عملت على تغييب المرأة سياسيا، هذا التغييب جاء نتيجة للأنظمة السياسية و قوانينها التي تدعم فكرة اللامساواة و ما أن تصبح المرأة غير متكافئة مع الرجل إذا فهي أقل نشاطا في السياسة منه .

ترى الدكتورة نوال السعداوي أن سبب اضطهاد المرأة يرجع عموما للأنظمة السياسية و الاقتصادية كالنظام الرأسمالي ، لان في نظرها تقوم على الفلسفة التي قامت عليها العبودية و ليس من مصالحها أن تحقق التحرر الفكري في المجتمع ، و هنا نوال تحاول أن تتابع التطور الاجتماعي وفقا للنظرية الماركسية التي ترى أن التطور الاجتماعي مر بأدوار مختلفة منها الإقطاعي وصولا إلى النظام الاشتراكي فكل هذه الأنظمة حاولت أن تغيب الفكر الإنساني و الوعي لكي تستمر بالسيطرة على الإنسان و استغلاله فتحرر الإنسان و المرأة الفكري يدفعها لرفض مثل هذه الأنظمة و بالتالي فليس من صالحها تحرر المرأة فكريا.

فلا يحتاج المرء إلى إطالة النظر و التفكير حتى يدرك أن استقراء التاريخ و استحضاره بات أكثر من ضرورة من أجل إماطة اللثام و البواعث التي رافعت طويلا ضد المرأة و كبلتها و استحقرتها على غرار الطبقات الهشة الأخرى الموجودة في المجتمع و جعلت طبقة أو جنس يسود على جنس و التي لاقت نفس المصير المشؤوم فالكل متواطئ هنا و الكل طبعا من رجال السياسة إلى رجال الدين دون أن ننسى رجال الاقتصاد فـ<< منذ نشوء النظام الطبقي الأبوي في التاريخ نجحت القوى السياسية و الاقتصادية في عزل النساء عن حياة المجتمع و فرض عليها أدوار خاصة أطلقت عليه بالدور النسائي المحدود بالأعمال البيولوجية أو الجسمية داخل البيت >>[2].

إن النظرة الدونية للمرأة انعكست على الدور الاجتماعي الوظيفي و حصر مجال وجودها و كيانها و اعتدالها داخل حلقة الأسرة أو ما يمكن تسميته بالموضعة الجنسية للرجل و الإنتاج الجنسي و الخدمة من أجل كمال العائلة الموسعة للزوج و أهل الزوج و الأبناء ، و حتى اذا لم تعد تملك القوى كأداة للعمل تتحول إلى جدة حاضنة للاحفاد و هو نفس الدور مع تغيرات نابعة من ثقافة تبخيس لعقل المرأة و قدراتها و من ثمة تكشف عن عقلية ذكورية ترفض أن تكون المرأة خارج هذا الدور الاجتماعي أو تحويل الدور إلى ما هو سياسي ، و يعني ذلك إمكانية المنافسة و المشاركة نتيجة فكرة أخلاقية في المجتمع تحمل ضمنيا كذلك تصور معين للرجولة خاصة في المجتمع التقليدي الذي يعتبر أن مغادرة المرأة للبيت هو نيل و تهديد لقيم الرجولة.

و ما تستهجنه نوال السعداوي في البلدان العربية هو قانون الزواج هذا الأخير يكبل حسبها المرأة و يجعلها أشبه ما تكون بالقاصر التي تكون تحت وصاية شخص ما و هذا الشخص هو بلا شك زوجها بل و أكثر من ذلك لا يحق لها الخروج من المنزل للعمل و السفر مثلا إلا بشروط مخزية تحط من كرامتها و قيمتها أساسا.

و كتوضيح لما سبق تشير صاحبه كسر الحدود إلى أن عقد الزواج ليس أكثر من عقد تمليك أو عقد عبودية يهين المرأة و يدلها بحجة تكوين الأسرة و التي تكون المرأة هي الحلقة الأضعف فيها و الطرف الوحيد المطالب بالحفاظ عليها على خلاف الرجل الذي

[1] – ميرفت حاتم ، نحو دراسة االنوع في العلوم السياسية ، تر: ، شهرت العالم ، مؤسسة المرأة و الذاكرة ، ط01 ، القاهرة ، مصر ، 2010 ص 78.

2 – نوال السعداوي تؤام السلطة و الجنس ، مؤسسة هنداوي سي إي سي للنشر ، د ط ، مصر ، 2017 ، ص28

منحه حق تطليق المرأة و رميها في الشارع متى شاء و هذا ما يعرف بالتعسف في التمسك بحق الطلاق أو التمسك بالإرادة المنفردة و هو من الحقوق التي يتمتع بها الرجل في ظل المادة 52 من قانون الأسرة الجزائري و كذلك << نص المادة 48 من ق.أ.ج على أنه يحل عقد الزواج الذي يتم بإرادة الزوج >>[1].

و من جهة أخرى تعتبر نوال السعداوي أن أغلب فئات المجتمع الضعيفة و الهشة على غرار الجنس الأنثوي و التي صارت تعرف لاحقا بالمدنيين أو المجتمع المدني محرومة من كافة حقوقها السياسية و أن هذه الأخيرة تم احتكارها جملة و تفصيلا من طرف قلة من الرجال و هذا بمباركة النظام الطبقي الصارخ و هذا من اجل خدمة مصالح قليلة من الناس أو بما يعرف بالساسة و هم يتخذون من الرأسمالية البغيضة غطاءا ووشاحا يمنحهم الشرعية القانونية و هذا ما أدى إلى ظهور ديمقراطية شكلية أقصت أغلبية الرجال و النساء خاصة من المشاركة الحقيقة في السياسة و الحكم.

و كتعليق على ما طرح أعلاه تشير السعداوي أن الفصل بين الحقوق السياسية و الحقوق المدنية هو ما أدى إلى إقصاء المرأة و الغالبية العظمى من فئات المجتمع عن المشاركة السياسية الحقيقية و من هنا تم نحت مصطلح الحقوق المدنية و هي الحقوق السياسية التي حرمت منها بقية الفئات الهشة التي تحدثنا عنها سابقا.

أيضا الباحثة أنا فيليبس على سبيل المثال اعتبرت << علم السياسة المتداول زاخر بالمفاهيم التي تتمحور حول جنس الإنسان و من هذا المنطلق ادعت أن السياسة تتسم بطابع ذكوري لذلك فإن الأنثى على ضوء علم السياسة قبعت في مستوى متدني بدل أن تحتل مرتبة عالية و منحت ميزات عاطفية بدل أن تحتل مرتبة إدراكية لائقة بشأنها >>[2].

و مما سلف ذكره نحتاج فقط لقليل من الجهد لنكتشف و مع كثير من التأكد و التيقن بأن أحد الأطراف المتواطئة و بطريقة مثيرة للاشمئزاز في حال المرأة المزري اليوم ها هو علم السياسة الذي وظف كليا لخدمة المصالح الذكورية فقط دون وقع أدنى اهتمام بالجنس الأنثوي و من يقول عكس هذ يجد نفسه كاذبا و بشهادة الواقع فها نحن على أعتاب القرن الثاني و العشرين ولا زالت الكثير من الدول ترفض شهادة المرأة في المحاكم و البعض الآخر يعتبرها شهادة مفتقرة للمصادقة و كذلك ما زالت الكثير من مقاعد البرلمان في العديد من الدول خالية عن بكرة أبيها من العنصر النسوي بل و أكثر من هذا هناك من يعتبر أن تولي المرأة للمناصب السياسية الحساسة مناف للقيم و الآداب المتعارف عليها و وصمة عار و خزي لا يجب حتى التفكير فيها.

لذلك فإن وقوف المرأة على قدم المساواة مع الرجل يساهم في عملية النهوض بالمجتمع و المرأة عن طريق مشاركتها في الانتخابات لمنصب صنع القرار الذي لا يعد مطلب من مطالب العدالة فحسب فمشاركة المرأة في الحياة السياسية و تحقيق المساواة مع الرجل هو مطلب إنساني قبل كل شيء يجب أن تتمتع به في ظل شروط المساواة السياسية مع ضرورة إدانة الظلم الاجتماعي السياسي الممارس عليها ، ولأن النساء قديما و مؤخرا أثبتوا أنهم الأجدر بتولي المناصب السياسية بل أحسن من الرجال أحيانا و لأن السياسة

[1] – نسرين شريفي و كمال بوقروة ، قانون الأسرة الجزائري ، دار بلقيس للنشر ، د ط ، الجزائر ،2018،ص55.

2– محسن الموسوي و محمد بور إبراهيم و آخرون ، نحن و مسألة المرأة ،ج1،م2،المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ، ط1، العراق 2020،ص30.

من بين المجالات المناسبة لهن و مع ذلك لا تزال المرأة تجد عراقيل تجعل وجودها السياسي غير مرحب به << و من العجيب أن السياسة هي الميدان الذي لا يسمح للنساء القيام فيه بأي دور هو الميدان الذي أثبتت فيه كفاءة عالية و مهارة نادرة >>[1] .

و كتعليق استطاعت النسوة أن يبرزن أدائهن في عالم السياسة رغم الفرص الضئيلة و الأدوار الصغيرة التي تقدم لهن في ظل سلطة النظام الجندري التي تعطي حق تشريع القوانين للرجل في ظل ديمقراطية زائفة ، أو على حد تعبير السعداوي و لأن الديمقراطية مجرد زيف ووهم سياسي.

و على الرغم من هذا لا يزال موضوع مشاركة المرأة في صنع القرارات العليا يثير جدلا كبيرا في العالم العربي خاصة أن المجتمع العربي يرفض الاعتراف بدور المرأة السياسي و يدفعها دائما إلى الانسحاب من عالم السياسة و هي لا تعلم أن انسحابها هذا هو انسحاب من المشاركة في الحياة العامة.

فلقد كانت أفكار السعداوي أرضا خصبة للأطراف التي أرادت أن تقصي المرأة من كافة المجالات خاصة السياسية منها بحجة أن مساهمة المرأة في صنع القرار بدعة اقتبست من الغرب مبينة العكس << إن مشاركة النساء في ضع القرارات العليا ليس بدعة من الغرب و ليس حربا بين الرجل و المرأة و لكنها ضمن الأسس التي تقوم عليها الديمقراطية و العدالة الاجتماعية و السياسية و جوهر الإسلام أيضا لقد شاركت السيدة خديجة زوجة الرسول في صنع القرارات العليا الأولى في الدعوة الإسلامية >>[2].

<< و قد اتضح أن الاعتراف بحق المرأة في الانتخابات لا يحدث تغيرا في وضع المرأة الأدنى و سواء ذهبت النساء إلى الإدلاء بأصواتهن أم لم يذهبن و سواء نجحت بعضهن في الوصول إلى مقاعد في البرلمان أم لم ينجحن فان وضع المرأة الأدنى لا يتغير كثيرا >>[3] ذلك أن مشاركة المرأة في السياسة هي أحد أهم المبادئ الديمقراطية فكما نعرف أن السياسة هي جوهر المواطنة فمن غير الممكن عزل المشاركة السياسية عن المواطنة لكن الأنظمة الاستبدادية التي تدعي الديمقراطية لا زالت تقضي و تهمش المرأة سياسيا من خلال منحها بعض المناصب الشكلية التي تخدم مصالح الساسة فقط ، ذلك أنه حتى لو سلمنا بحق المرأة في الاقتراع و التصويت فهذا ليس شرطا كافيا لضمان مشاركة المرأة في الحقل السياسي ثم لماذا وضع المرأة يبقى متدني .؟

لأن المشاركين في الانتخابات و هنا أخص بالذكر الرجال يعطون اهتمام و يوجهون أنظارهم حول حقوق المرأة و قضيتها حتى يحظون بأصوات النساء و ما أن يصلوا إلى الحكم و هذا بفضل النصف الآخر من المجتمع ما أن يتم التغاضي و إهمال المرأة و قضيتها أيضا وضع المرأة يبقى متدني لأن النساء أنفسهن يرفضن فوز امرأة بهذا المنصب و هذا يرجع إلى الثقافة البطريركية التي هيمنت على عقول النساء أنفسهن من خلال نظرة المجتمع الذكورية و انتشار السياسة الذكورية و غياب الديمقراطية و توظيف الدين من أجل حظر المرأة من منصب صنع القرار.

1- جون ستيوارت ميل ، استعباد النساء ، مرجع سابق، ص26.

2- نوال السعداوي الوجه العاري ، مصدر سابق ،ص115.

3- نوال السعداوي ، دراسات عن المرأة و الرجل في المجتمع العربي ، مصدر سابق ، ص ص (814-815).

فكما وضح بيار بورديو أن الهيمنة الذكورية متجذرة في لا شعورنا و << هي مسؤولة عن نزع التاريخية و التأبيد النسبين لبنى التقسيم الجنسي>>. [1]

فمن المعلوم أن عقلنا الباطن إذا برمج على شيء ما نجد صعوبة كبيرة في التخلص منه لأننا لا ننتبه إلى هذا الشيء الموجود فيه كونه أصبح شيئا طبيعيا لا نلاحظ وجوده هذه القاعدة تنطبق تمام على فكرة انتشار الهيمنة الذكورية التي أصبحت قابعة في لا شعورنا الجمعي بلغة يونغ فأصبح الكثير منا يعتبر فكرة تفوق الرجل على المرأة فكرة بديهية لا يمكن الشك فيها و هنا يكمن الخطر لأن الشيء إذا صار ينظر إليه على أنه الأصل و الصواب و يبرمج عليه الإنسان لا شعوريا فسيتطلب الأمر كفاحا شرسا و نضالا مستمر لإزاحته من دائرة البديهي و اللا مفكر فيه.

هذا وتؤكد نوال السعداوي في كتابها قضايا المرأة و الفكر و السياسة << إن حياتنا الخاصة ليست ديمقراطية فكيف يمكن أن تكون حياتنا العامة ديمقراطية؟ الطفل أو الشاب الذي لا يتعود على مناقشة أبيه و الاختلاف معه لا يمكن أن يناقش رئيسه و يختلف معه و المرأة التي تفرض من عليها الطاعة منذ الولادة لا يمكن أن يكون لها رأي مستقل عن أبيها >>[2] و لأن الديمقراطية مرادفة للحرية على اعتبار أننا نمارس الديمقراطية لتحقيق الحرية لكن من غير الممكن أن ننعم بالحرية ما دامت الديمقراطية غائبة في حدودنا الشخصية لأن من يعيش الاضطهاد في حياته الشخصية (من اضطهاد للرأي و الفكر داخل الأسرة و من تعيش تحت لواء الطاعة باسم العادات) سيترسخ هذا القيد و يتجدر فينا و لن تنتزعه تلك الشعارات التي تنادي بالتحرر و الديمقراطية و بالتالي فان حياتنا الخاصة هي التي تحدد السياسة في حياة العامة.

فالنظام الذكوري اليوم عمل على بسط تصوراته و تمثلاته في عالم السياسة و التي أضفت عليه نوع من الشرعية حتى أصبحت المرأة هامشا و الرجل مركزا و في محاولة منا لقلب الموازين لا بد من إحداث قطيعة مع هذا النظام الذي يعمل على استغلال العنصر النسوي جوهريا و حتى إن تولت النساء السلطة اليوم .

و حتى تستطيع المرأة أن تحقق التحرر الحقيقي لابد أن تتكاثف معه الجهود حتى نحقق التحرر الاجتماعي و الأخلاقي حيث ترى نوال السعداوي أن << تحرير المرأة تحريرا حقيقيا في الشرق العربي أو الشرق الأقصى أو الغرب لن يتحقق إلا بالتخلص من النظم الطبقية سواء كانت رأسمالية أو إقطاعية بمعنى أن تحرير المرأة لن يتم إلا في ظل مجتمع اشتراكي حقيقي و هذا لم يحدث اليوم حتى في أي بلد ولا في أي بلد من البلدان التي تسير نحو الاشتراكية و سيحدث في المستقبل حينما تصبح النساء قوة سياسية قادرة على انتزاع حقوقها فالحرية تؤخذ ولا تمنح كما عرفنا في التاريخ >>[3].

---

[1] – بيار بورديو، الهيمنة الذكورية ، تر:.سلمان قعفراني، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر ، ط1، بيروت، لبنان،2009، ص 12 .

[2] – نوال السعداوي ، قضايا المرأة و الفكر و السياسة ، مصدر سابق ،ص417.

[3] – نوال السعداوي ، دراسات عن المرأة و الرجل في المجتمع العربي ،مصدر سابق ، ص 815.

ببساطة ليس هناك من يملك الجرأة على إنكار حجم المساهمات القوية التي لعبها المفكرون الاشتراكيون في فضح المصالح الدنيئة و الضيقة التي ساهمت في الاحتقار الممنهج و الخسيس للمرأة عبر الأحقاب التاريخية المختلفة ولا نحتاج كذلك لجهد كبير من أجل الكشف عن الارتباط الوثيق بين حصول المرأة على حريتها و بين تحول المجتمعات إلى النظام الاشتراكي فالعلاقة هنا علاقة طردية تلازمية فالاشتراكية تمثل أقل نظام و أكفأه من حيث توسيعه مجال حرية المرأة خاصة على الصعيد الاقتصادي و الذي يمكن من خلاله الحصول على باقي الحريات مجرد نتيجة حتمية لهذا الأخير .

فالتاريخ كشف عن العلاقة الوطيدة بين الاضطهاد الجنسي للنساء و بين الاضطهاد الاقتصادي و بالتالي فأول شرط للتخلص من هذا الاقتصاد هو تكريس الاشتراكية و التي لا يخفى على أحد سعيها الحثيث لتحرر الاقتصاد و القضاء على السلطة الاحتكارية الأبوية التي عشعشت لقرون طويلة الأمد ولا تزال كذلك،و ليس بمقدورهن التخلص من الاستغلال الواقع عليهن طالما أن النظام رأسمالي أبوي .

ب/ الجدل السياسي للأخلاق :

عرفت الحياة الفكرية العربية المعاصرة طيلة القرن الماضي عددا من المحاولات الفلسفية و البحوث الفكرية في ميدان الأخلاق حاولت بلورة النظرية الأخلاقية في إطارها الاجتماعي بشكل عام و النسوي بشكل خاص و بعض المفاهيم التي تعد بمثابة قيم اقترنت بالأخلاق تقصد هنا الشرف و السياسة.

إن محاولات التأسيس لمشروع أخلاقي عربي تهدف إلى ترقية المجتمع العربي المعاصر و إنقاذه من التخلف الذي أصبح يتناقض مع المبادئ الإنسانية ، و كانت نوال السعداوي من بين النساء العربيات الثائرات على المفهوم الزائف للأخلاق و الشرف حيث عملت على تعرية هذه المفاهيم و توضيح مدى تمسك المجتمع العربي بها و كيف أن الرجل الشرقي يقصدها من أجل تعزيز سيطرته الدائمة على المرأة فـ<< لو تأملنا مفاهيمنا عن الأخلاق أو الشرف نكتشف أنها تتعارض مع المبادئ الإنسانية الأساسية لمعنى الأخلاق أو الشرف فالمفروض أن القيم الأخلاقية تسري على جميع البشر و إلا أصبحت قيما عنصرية طبقية ظالمة >>[1]، لكن كيف تتعارض الأخلاق مع المبادئ الإنسانية و تصبح ظالمة في حين أنه من المفروض أن تكون المبادئ الإنسانية قائمة على القيم الأخلاقية ؟ ثم هل فساد الأخلاق متوقف على فساد السياسة ؟

– إن الإجابة على هذه التساؤلات لا يحتاج إلى تأمل كبير باختصار شديد و كما أقرت الدكتورة نوال ، إن هذا راجع إلى التقسيم الذي طرأ على المجتمع و انعكس على الأخلاق منذ أن أصبحت هناك أخلاق خاصة بالسادة و أخلاق خاصة بالعبيد و بالتالي أخلاق خاصة بالرجال و أخلاق خاصة بالنساء تعاقب فيها المرأة على كل كبيرة و صغيرة ، تعاقب فيها حتى و إن مارست حقوقها الطبيعية لا حتى المدنية التي يكفلها القانون.لأن << جوهر الأخلاق و الشرف يتعلق بعقل المرأة و الرجل و قدرتها على

1– نوال السعداوي ، عن المرأة الدين الأخلاق ، مصدر سابق ، ص 34.

الدفاع عن العدل و الحرية و الصدق إن شرف الإنسان المرأة أو الرجل واحد ولا بد أن تكون مقاييسها واحدة و إلا انعدمت الأخلاق >>[1]، و هنا تحاول نوال أن تبين كيف أن الأخلاق تتعارض مع المبادئ الإنسانية انطلاقا من المقاييس الأخلاقية السائدة و في رأيها هي مقاييس ظالمة و مغلوطة و فيها غبن للمرأة و التي كانت سببا في تخلف المرأة و المجتمع ، بحيث تتعلق أخلاق المرأة بجسدها فقط دون عقلها بينما أخلاق الرجل تتعلق بعقله ، فالفعل الذي تفعله المرأة و تمارسه غير جائز بينما نفس الفعل و السلوك يقوم به الرجل مباح ولا لوم عليه ليس لأي سبب سوى لأنه رجل و هذا ظلم.

إذ يجب أن تكون المقاييس الأخلاقية واحدة و ثابتة بغض النظر عن النوع (رجل ، امرأة) و الدين و الطبقة الاجتماعية فالصدق و ما يترتب عليه من عدل و حرية هو الشرف الحقيقي و يجب أن يكون هو المقياس الأول للحكم على السلوك الأخلاقي للجنسين. لكن في ظل العادات و التقاليد أصبح الرجل وحده يحتكر الأخلاق و الشرف و السياسة ، و عندما نقول الشرف فإننا نقصد جسد المرأة أو الشرف بمعناه البيولوجي (غشاء البكارة) كونه احد القيم الاجتماعية التي كانت و لا زالت تؤكد أن مجتمعنا لا تزال تحكمه الأبوية أين يصبح جسد المرأة شيئا يخص الرجل أما هي فلا تملك حق الوصاية عليه.

و بالعودة إلى السياق التاريخي نجد أن << علاقة الشرف بالسياسة أو بالقوى المسيطرة في المجتمع قديمة في التاريخ البشري منذ نشوء الرق أو النظام العبودي الذي قسم البشر إلى آسياد و عبيد و رجال و نساء و انقسمت الأخلاق أيضا إلى أخلاق خاصة بالرجال دون النساء >>[2] و هنالك تحاول السعداوي أن تبين كيف هي صلة الأخلاق بالسياسة ؟ ذلك أن السياسة في الزمن القديم و حسب فهم أرسطو كانت تعني تدبير أمر المدينة في مقابل تدبير الفرد أمر ذاته الذي سمي الأخلاق و كلاهما يقومان على التدبير ، فالأخلاق تعني تدبير أمر المرء لنفسه و عائلته في حين السياسة تعني تدبير أمر المدينة و تعتقد نوال أن هذا الفصل بين الاثنين حدث أو تم في فترة سيادة الرق حيث أصبح المجتمع مقسم إلى سادة و عبيد و من هنا ظهرت أخلاق السادة و العبيد و المتحكمين و أصحاب القوة مقابل الضعفاء الخاضعين لأولئك و هذا انعكس على الفصل بين الدستور أو التشريع و قانون الأحوال الشخصية حيث أن الدستور يهتم بشؤون الدولة في حين قانون الأحوال الشخصية يهتم بأمر الفرد.

و منذ أن نشأ الرق و الذي يراه أرسطو نظاما طبيعيا في المجتمع << أصبحت المرأة الزوجة تعاقب بسبب اخطأ سيدها الرجل فان اغتصبها هذا الرجل تصبح مسؤولة عن هذا الاغتصاب لأنها هي التي تفقد عذريتها و هو مقياس الشرف في بلادنا >>[3] فالخطأ دائما يسقط على المرأة سواء ارتكبته أولا، لهذا نجد السعداوي تندد كيف يتم الربط بين عذرية المرأة و بين الشرف و القيمة الأخلاقية فهي ترى الأولى (العذرية صفة بيولوجية مشتركة بين النساء ولا علاقة لها بالقيم الأخلاقية لأن هذه القيم ناتجة عن تربية

[1] – المصدر نفسه ، ص 34 .

[2] – نوال السعداوي ، تؤأم السلطة و الجنس ، مصدر سابق ، ص190.

[3] – نوال السعداوي ، عن المرأة الدين الأخلاق ، مصدر سابق ، ص34.

أخلاقية معينة فالبنت التي تتربى على الشرف و الأمانة و الصدق و العدل لا يمكن أن تفقد هذه القيم إذا ما صادف و تعرضت مثلا إلى حادث اغتصاب أزال عذريتها.

ذلك أن الشرف كمفهوم أوسع من أن يكون صفة بيولوجية فهل محافظة الفتاة على عذريتها و ارتكابها للظلم و الكذب و النفاق يجعل منها شريفة؟

إن الشرف مفهوم أخلاقي في حين العذرية مفهوم بيلوجي و أحيانا كما تقول السعداوي تولد الفتاة بدون غشاء بكارة أو رقيق سرعان ما يتمزق لأبسط سبب فهل هذا يعني أن الفتاة ولدت بلا شرف؟

بل أن نوال تستذكر أحاديث جدتها التي تقول أن الله فضل الرجال على النساء لذلك خلق في جسد المرأة عضو للشرف و تتساءل ساخرة :<< إذا كان الله يفضل الرجال على البنات فكيف يحرمهم من العضو الشريف؟>>[1] و بتعبير أخر إذا كان الله خلق هذا الغشاء (غشاء البكارة) كدليل عفة و شرف في جسد الفتاة و إذا سلمنا بعدم وجوده يفضح الفتاة على أنها مارست الجنس لكن في المقابل الرجل ليس لديه أي دليل يفضحه أو يثبت أنه مارس الجنس فهل معنى هذا أن الرجل شريف بالفطرة؟.

لقد أثبت الطب الشرعي أن الفتاة يمكن أن تمارس الجنس دون أن يصاب أو يخدش غشاء بكارتها و هذا دليل على انه رغم وجود الغشاء و سلامته إلا أن الفتاة أقامت علاقات جنسية ثم إن هناك أخريات يفقدن عذريتهن ، ليس لأنهن مارسن الجنس بل لظروف استثنائية قد تكون نتيجة مرض ما آو ممارسة رياضة عنيفة أو تعرض إلى اغتصاب و مع ذلك هي شريفة كما أن بعض الإناث قد يولدن بدونه فهل هن غير شريفات بالفطرة؟ و بالرغم من هذا مازال المجتمع و عندما نقول المجتمع نقول الرجل يؤمن أن العذرية هي شرف المرأة الوحيد هذا المقياس ما هو إلا شكل من أشكال التخلف الأخلاقي فالفتاة التي تفقد غشائها في مجتمعنا تفقد كل شيء معه حتى حياتها في كثير من الأحيان تحت مسمى غسل العار ولا شك أن التطور العلمي و الطبي توصل إلى عمليات ترقيع البكارة كأن لم يحصل له تمزق فهل الفتاة التي تلجأ إلى عمليات ترقيع البكارة يعني أنها استعادت شرفها مهما فعلت و مارست أعمال خارج حدود الشرف التي اعتمدها المجتمع ؟ أيضا توفر الغشاء الصناعي و بنوعيات مختلفة و أسعار متعددة و هذا ما جسدته الممثلة هيفاء وهبي في مسلسل الحربايا و هي فتاة فاقدة للعذرية و عندما أرادت الزواج قامت بارتداء الجلباب و اتجهت إلى الصيدلية لشراء غشاء صناعي و كيف أن الصيدلية قدمت لها أنواع مختلفة كالغشاء التايلاندي ، و الهندي و الصيني ، لكنها اشترت أرخصهم ثمن هذا المشهد يثبت كيف أن الشرف الذي حدده المجتمع أصبح رخيس جدا.

فبعدما كانت عملية ترقيع البكارة أحد المحرمات في البلاد العربية اليوم شيخ الأزهر أصبح يبيح مثل هذه العمليات خاصة إذا كانت الفتاة تعرضت للاغتصاب ، الشرف حقا ليس قطرة دم تنزل ليلة الزفاف لذلك حتما يجب أن نغير مفهومنا للشرف و نجعله يبنى على الأخلاق و الفضيلة و ليس قطرة دم، ولأن المجتمع فرض العفة على النساء دون الرجال ذلك أن العائلة لا تكتفي بتحميل

[1] – نوال السعداوي ، نوال و الثورات ،مصدر سابق ، ص25.

الفتاة المسؤولية بل تقع ضوابط و محكمات تنتهك حريتها و حقها بأن تعيش مثل الذكر ، فالعائلة تتحكم بكل شيء في حياة الفتاة ، و رغم أن المجتمع أخد يتطور إلا أن مفهوم الشرف لا يزال يشكل ثابت من ثوابت العادات و التقاليد فمشكلة العذرية كانت و مازالت هاجس بالنسبة للكثير من العائلات و لضمان عدم حدوث أي مكروه لعذرية البنت في الجزائر مثلا الفتاة تخضع إلى أحد الطقوس أعني هنا التصفاح أو طقس الإغلاق كما اصطلح عليه مالك شبل في كتابه الجنس و الحريم إذ يقول << يتعلق الأمر بعملية سحرية هدفها الحفاظ على شرف الفتاة و بكارتها و نسميها التصفاح أي الوقاية المؤكدة من كل خطر خارجي >>[1]

أما عن حيثيات طريقة تصفيح الفتاة فيشترط أن تكون البنت غير بالغة و يشترط أن تكون المرأة التي تقوم بهذا السحر في مكان خالي من الذكو إذ يقومون بجرح أو كما يقال، في الجزائر (تشليط) فخد البنت سبع مرات بمشرط و أخد سبع حبات من التمر و تغميسها في دم البنت و إجبارها على أكلها و عند إغلاق الفتاة يقومون بترديد هاته التعويذات التي أخبرتني جدتي عنI <<أبنتي حيط و ابن الناس خيط>> << و الخيط ما يفك الحيط>> ، طبعا هذه العملية في اعتقادهم تضمن عدم ممارسة الفتاة لأي علاقة جنسية لأن الجن يمنع أي رجل من الاقتراب إليها و مع ذلك يمكنها أن تمارس الجنس خارجيا و لا يحدث أي مكروه لعذريتها ، ثم قبل موعد الزواج بأيام أو ساعات قليلة يشترط أن تذهب الفتاة إلى نفس السيدة التي قامت بتصفيحها من اجل فك الإغلاق و ذلك بإعادة جرحها و قراءة هذه التعويذة << ابنتي خيط و ابن الناس حيط >> .

إذ يرتبط الجسد الأنثوي ارتباطا وثيقا بشرف الرجل إذ أن الحفاظ عل المنع الجنسي قبل الزواج يعتبر مسؤولية أساسية ترمز في العمق إلى نجاح التنشئة الذكورية و عدم تلوث سمعة العائلة لذلك يظل قص البكارة في ليلة الدخلة مؤشرا مرئيا على العفاف و العذرية >>[2]، و المقصود من هذا الكلام أن السلطة الأبوية هي التي تتحكم في جسم المرأة من خلال إلزام الفتاة أن تكون مسؤولة عن صيانة جسدها ، لكن كيف تحرص الفتاة على جسدها و في الوقت نفسه جسدها يرتبط بشرف الرجل ؟ ألايعد هذا شكل من أشكال الاستلاب الجنسي *؟ ثما أن أي استهتار أو تهاون يتعلق بعذرية الفتاة كفيل بأن يدنس و يلطخ شرف العائلة كلها لهذا فإن فض البكارة ليلة الزفاف هو الدليل المادي على عفاف البنت. و من هنا يمكن القول أن << الرجل هو الذي يسر قانون الشرف >>[3] فقبل الزواج الفتاة تحمل شرف آبيها و أخوها و عمها ..الخ ، و إن تزوجت تصبح مسؤولة عن شرف

1- مالك شبل ، الجنس و الحريم وروح السراري ، تر: .عبد الله زارو، افريقيا الشرق للنشر ، د ط ، المغرب 2010، ص82.

*الاستلاب الجنسي: اختزال المرأة إلى حدود جسدها و اختزال لهذا الجسد إلى بعده الجنسي : المرأة مجرد جنس و أداة للجنس و و عاء للمتعة و هذا الاختزال يؤدي مباشرة الى تضخيم البعد الجنسي لجسد المرأة بشكل مفرط.نقلا عن :(مصطفى حجازي ، التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان ، المقهور ، المركز العربي الثقافي للنشر ط 9 ، الدار البيضاء المغرب، 2005،ص214).

[2] – علي عليوة : المرأة بين فكي الهيمنة الذكورية و التدين ، المركز العربي الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية و السياسية و الاقتصادية للنشر ، ط 5 ، برلين ،ألمانيا 2019-ص33.

[3] – بوزيدي سولاف، إشكالية الشرف لدى المرأة ، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية للنشر،العدد16،وهران ،الجزائر،2014،ص119.

زوجها و ما يزيد الأمر سوء هو أن القوانين العربية متساهلة جدا مع جرائم الشرف ففي القانون المصري المغتصب إن تزوج التي اغتصبها تسقط عليه التهمة دون مراعاة لرأي الفتاة.

و ها هي نوال السعداوي في مؤلفها قضية المرأة المصرية السياسية و الجنسية تهدف إلى مناقشة أحد أهم القضايا التحررية التي تشكل خطرا على مصير تحرر المرأة في أي مجتمع خاصة العربي إذ تناولت مسألة المرأة و الأخلاق الزائفة مبينة موقف الرجال و الشرف و الأخلاق مستأنسين بحجة أن خروج المرأة إلى العمل و التعليم يعرضها للاختلاط و الفساد الأخلاقي الأمر الذي يجعلها غير أهله لصيانة دينها و شرفها لأن هذا يفقدها أنوثتها و من ثمة التخلي عن دورها في الحياة الذي لا يخرج عن إطار خدمة الزوج و طاعته متغاضين أو صارفين النظر عن خروج آلاف النساء الفلاحات يوميا إلى العمل جنبا إلى جنب مع الرجل فهل الأنوثة أو الشرف حسب هؤلاء يقتصر على فئة معينة من النساء ؟ و من هنا يتضح لنا دفاع هؤلاء ليس إلا انعكاس لموقفهم السياسي و الاستغلالي ذلك أن دفاعهم هذا (عن أنوثة المرأة) و دين المرأة ليس موقف إنساني و أخلاقي بل يتنافى مع الدين الذي جوهره الأخلاق فالذي يتعارض مع الأخلاق يتعارض مع الدين[1] .

هذا الكلام يمكن فهمه على مستويين الأول يعود إلى أن الرجال اليوم يلجؤون إلى استغلال الدين و الشرف و ربطهم بأمور ليس لها علاقة بالدين أو الأخلاق و هذا من اجل بسط سيطرتهم ، رافعين شعارات دينية يرهبون من خلالها كل من سعي إلى الخوض في قضايا تحرر المرأة باسم الدين أما المستوى الثاني راجع إلى أن سبب اضطهاد المرأة بسبب سياسي اقتصادي و ليس أخلاقي بالدرجة الأولى في أي مجتمع من المجتمعات.

فماركس يربط بين قوى الإنتاج و بين وضع المرأة حيث يرى أن تطور قوى الإنتاج و العلاقات الإنتاجية و التي هي مادية ستكون المتحكمة بحالة الاضطهاد الذي تتعرض له المرأة فكلما تطور التاريخ المادي للمجتمع كلما فرض أنواعا متعددة لاضطهاد المرأة إلا أننا نجد أن نوال تشدد على أن << ماركس لم يشمل نصف المجتمع من النساء في نظريته الماركسية>>[2] و على الرغم من جهد فريدريك انجلز حول وضع المرأة في كتاب أصل العائلة إلا أن نوال تشير إلى قصور نظريته حول الأمر ، فهو يعتقد بأن خروج المرأة إلى العمل يساعد على تحررهن ، ذلك أن هناك الكثير من النساء العاملات كما يقول بخرجن للعمل دون أن يتحررن لأن الحرية ليس مجرد الخروج للعمل و إذا كانت المرأة في خروجها للعمل تقوم بإشباع معدتهما من الجوع فإن هناك << العقل أيضا في حاجة إلى إشباع عن طريق الوعي و المعرفة و الفكر و الثقافة>>[3] . كما سلطت الضوء أيضا على مشكلة المرأة التي تدفعها ظروفها الاقتصادية للاتجار بجسدها و التي يطلق عليها في مجتمعنا لقب مومس أو عاهرة مع أنها ضحية للمجتمع الذكوري و على الرغم من أن الرجل هو الذي يذهب إليها و هو الذي يدفع المال لا يطلق عليه لقب مومس و << بدراسة تاريخ البغاء في الحضارة

[1] – نوال السعداوي قضية المرأة المصرية السياسية و الجنسية مؤسسة هنداوي سي إي سي للنشر ،د ط ، مصر ، 2017،ص23-24.

[2] – نوال السعداوي،كسر الحدود،مؤسسة هنداوي سي إي سي للنشر ،د ط ، مصر ، 2017 ،ص 241.

[3] – المصدر نفسه ، ص 241 .

الذكورية ندرك أن البغاء نشأ مع نشوء الأسرة الأبوية التي فرضت على المرأة زوجا واحدا >>[1] أن فرض زوجا واحدا على المرأة و السماح للرجل باتخاذ ماشاء من النساء سواء بالزواج أو خارج الزواج نتج عنه أمرين الأول يتعلق بالرجل الذي لا يكتفي بزوجته أو يسعى للتباهي برجولته فهو يغوى بمن تستطيع إغوائه بممارسة الجنس معها و بعض أن يتركها تلجأ إلى غيره و غيره و هكذا ينتهي بها الأمر أن تكون بها بغيا.أما الثاني متعلق بالمرأة و شعورها بالحاجة إلى الارتواء الجنسي إذا ما قابلته حالت برودة عند الزوج يمكن أن يدفع بها أحيانا إلى محاولة التعويض باللجوء إلى ممارسة الجنس خارج منظومة الزواج لأن القيد الأبوي منعها من تعدد الأزواج .

أيضا تطرقت إلى مشكلة الأطفال الغير شرعيين ذلك << أن الرجل لا يعطي اسمه لأطفاله من هؤلاء النساء اللائي يمارس معهم الجنس خارج الزواج>>[2]. فنوال ترفض أن يستباح جسد المرأة و يكون سلعة فحين << تمارس المرأة البغاء يتعرض جسدها للانتهاك >>[3].

ج / الجدل السياسي للدين

يعد الدين هو القوة الروحية التي تتحكم في عواطف وسلوك وفكر الإنسان وعليه فان السعي لتوظيف الدين في الأغراض السياسية يعد احد مرتكزات الأنظمة الأبوية مستغلة المستوى الثقافي و الفكري عند الكثيرين و تأجح العاطفة الدينية الفطرية التي تلقوها في تربيتهم العائلية وهو ما انتهى إلى الزج بالدين في المعترك السياسي و الذي أضر بالدين أكثر مما أضر بالسياسة فرجل السياسة لا تهمه الأهداف الأخلاقية الدينية بقدر مايهمه كسب الجموع الغفيرة .

فعلى الصعيد الديني نجد الشرسة نوال السعداوي <<ثارت على التجارة بالدين والوقوف عند القشور مثل الحجاب والختان و اعتبرت أن الحجاب عادة جاهلية وان بعض أركان الحج بقايا وثنية و أن الشريعة يجب ألا تتعارض مع جوهر العقيدة >>[4] طبعا ورفضها المطلق لتفسيرات علماء الدين الإسلامي كتفسيرهم للخطيئة و القوامة و الميراث و العديد من الأمور .إذ انتقدت المنطق الذي استند إليه رجال الدين في تفسيرهم لمعظم النصوص القرآنية من بينها المتعلقة بالقوامة كما ورد في قوله تعالى << الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ>>[5] يحيث يرون أنها تبين مدى تفضيل الله للرجال على النساء سواء من الناحية العقلية أو الجسدية و بالتالي منحهم سلطة التحكم في المرأة .وأصبح بإمكان الرجل أن يحتبس زوجته فيمنعها من الخروج والسفر والعمل ويفرض عليها الطاعة مقابل الإنفاق عليها .معنى هذا أن النفقة هي العلة أو السبب الذي يجعل الرجل قوام على المرأة لأنها تابعة له اقتصاديا هذا من جانب ومن جانب أخر تخلق نوال الجدل وترد <<

[1] – نوال السعداوي ، الرجل و الجنس ، مكتبة مدبولي للنشر ، ط1، القاهرة، مصر ، 1973،ص207.

[2] – المصدر نفسه ، ص208.

[3] – فاطمة الزهراء أرزويل ، البغاء أو الجسد المستباح ، إفريقيا الشرق للنشر ، د ط ، المغرب،2001 ،ص88.

[4] – نوال السعداوي ، نوال و الثورات العربية ، مصدر سابق ،ص8.

[5] – القرآن الكريم ، سورة النساء ، الآية34،ص84.

لكن إذا أنفقت المرأة على نفسها وعلى أطفالها وعلى زوجها أيضا في الحالات المتزايدة بسبب البطالة و التي يكون فيها الزوج لا يعمل أو يعمل باجر صغير .فان القوامة لا تكون للمرأة >>[1] ومنه نستنتج أن النفقة تتغير بتغير الظروف و تصبح المرأة هي التي تنفق ومع ذلك القوامة لا تتغير.فهاته القوامة الممنوحة للرجل بناءا على قدرته الاقتصادية و الجسدية تسقط اذا كانت المرأة مستقلة اقتصاديا بحيث تستطيع الاستغناء عنه ماليا .هذا الشيء لم يقل به الفقهاء لأنهم يعتبرون تبعية المرأة للرجل مطلقة لا تتغير لان << الفلسفة الكامنة خلف كل تلك القوانين فهي أن الرجال الذين لديهم القوامة والولاية عليهم الإنفاق على زوجاتهم و بالتالي فمن حقهم المطالبة بالطاعة وان يكون لهم عليهن سلطة>>[2] .حتى وان كانت المرأة عاملة والرجل بطال وان كانت هي بصحة جيدة وهو مقعد مريض وهذا الذي تراه السعداوي تناقض فهي لا يهمها من يجب أن يكون قوام على الأخر بقدر ما تركز على التوافق الذي يجب أن يكون جوهر العلاقة الزوجية . أما بخصوص موقف نوال السعداوي من موضوع تعدد الزوجات واضح و صارم فهي ترى أن التعدد هو جزء من العبودية وفيه انتهاك لكرامة المرأة فالرجل من حقه وبموجب ما شرعه الدين أن ياخد أربع نساء ويبيت كل ليلة مع واحدة ومن حقة ان يعدد ما شاء من الجواري والإماء ويبدلها كيفما شاء في حين أن المرأة تنتظر حصتها مرة كل أربعة أيام أو اقل فهي متزوجة لكنها تعيش كالعز باء إلى ا ن يأتي دورها طبعا نوال تستشكل الأمر على اعتبار انه ليس من العدل والإنسانية أن يتمتع الرجل بهذا التعدد والمرأة لا لهذا حاولت البحث في الأسباب التي جعلت الإسلام يشرع التعدد فتقول << قد ظهر الإسلام أيضا في في مجتمع أبوي قائم على الملكية الفردية و نظام الطبقات والأسياد و العبيد فأصبحت السلطة في الإسلام للرجل رأس الأسرة والحاكم والخليفة والإمام والوالي والقاضي والشاهد وكلها مناصب تخص الرجل وحده وورث الإسلام عن اليهودية العقاب بالرجم في مسالة الزنا وقد رجمت النساء بالحجارة حتى الموت في عهد النبي محمد وعهود الإسلام الأولى و ينص الإسلام على أن يرجم الزاني والزانية لكن إباحة تعدد الزوجات في الإسلام وإباحة العلاقات الجنسية مع الجواري والإماء ومما ملكت اليمين جعلت الرجال المسلمين في غير حاجة إلى الزنا>>[3] .فالسبب الذي جعل الإسلام يجيز التعدد هو سبب اجتماعي أنتجته الأعراف الأبوية داخل المجتمع و في مستوى آخر من النقاش ترى النص القرآني نفسه لم يعطي الحرية المطلقة للرجل في التعدد بل قيده بالعدل وهذا القيد كافي لمنع الرجل من الزواج بأكثر من واحدة لان الله يعلم أن تحقيق العدل آمر مستحيل لعدة أسباب منها الميل النفسي و التفضيل ومدام هناك تفضيل فان شرط العدل سوف يغيب و هذا اقتضاه قوله تعالى <<وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْمن النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً >>[4].لم تكتفي نوال بهذا بل تتسال عن تعميم التميز بين الجنسين حتى في الجنة و بقاء الأسلوب نفسه بجعل جزاء المرأة اقل من جزاء

[1] – نوال السعداوي ، عن المرأة و الدين و الأخلاق ، مصدر سابق ،ص38.

[2] – أمينة أبو بكر ، النسوية و المنظور الإسلامي ، آفاق جديدة للمعرفة و الإصلاح ، تر: رائد أبو بكر و حسام نايل ، مؤسسة المرأة و الذاكرة ،د ط،القاهرة ، مصر 2013،ص59.

[3] – نوال السعداوي ،الوجه العاري للمرأة العربية ، مصدر سابق ،ص41.

[4] – سورة النساء ، الآية 3،ص77.

الرجل فحسب التفسيرات التقليدية يحظى الذكور في الجنة بكل شيء إذ تقول << أما حقوق النساء و الأمهات في الجنة فتحتاج إلى بحث آخر لان الرجال الذكور يحظون في الجنة بكل شيء وإشباع رغباتهم الجنسية حتى الثمالة مع الحوريات العذروات اللائي لا يفقدن عذريتهن رغم الممارسات المتكررة أما الأمهات و الزوجات فحقوقهن في الجنة لا تزيد شيا عن حقوقهن في الحياة الدنيا وليس لأي واحدة في الجنة إلا زوجها و السؤال يبادر إلى الذهن إذا كان زوجها مشغولا بالحوريات العذراوات ليل نهار فماذا تفعل هي.>>[1] وترى كالعادة أن تفسيرات الذكور هي التي سلبت المرأة حقها في المتعة الأخروية بغير مستند ودليل فلا يوجد نص قراني يمنع الاعتقاد أن المرأة تستمتع بممارسة الجنس مع الغلمان مثلما يستمتع الرجل .دون أن ننسى اعتراضها على تفسير الخطيئة و تحميل شقاء الإنسانية لامنا حواء لأنها كانت السبب في طرد ادم من الجنة عندما أغرته أن يأكل من الشجرة وأنها خلقت من ضلع ادم فهو الذي وهبها الحياة لكنها ترى العكس أن <<خطيئة أمنا حواء أنها رفضت الجهل ومدت يدها وأكلت من شجرة المعرفة.آو كان الإثم الأكبر في التاريخ العبودي هو تذوق المعرفة وليس تذوق الجنس كما أشيع في الكتب التي لقنونا إياها في المدارس >>[2] .

إضافة إلى قولها<<وجلس ادم بينه وبين نفسه وكان فنانا وقادرا على خلق القصص والروايات ثم خرج إلى العالم بقصة ادم وحواء الشهيرة في التاريخ وفي هذه القصة سلب ادم من حواء قدرتها على الولادة وخلق الحياة الجديدة و أعطى نفسه هذه القدرة قائلا انه هو الذي ولد حواء وأنها جاءت من احد ضلوعه>>[3] كما ترفض نوال ربط الحجاب بالدين أو جعله زيا إسلاميا بل تعتبره عادة اجتماعية سابقة للإسلام فهو بالتالي لا يحمل آية قيمة أخلاقية .و بطريقة ملفتة للانتباه تنفي نوال الفكرة التي مفادها أن الحجاب ظاهرة تخص المجتمعات الإسلامية فقط حيث تقول << لم يدهشني الحجاب الذي ترتديه النساء في بلادنا تحت اسم الدين أو الإسلام فقد رأيت حجابا آخر ترتديه النساء الأوروبيات والأمريكيات في عصرما بعد الحداثة ليس مصنوعا من القماش كالحجاب الديني وإنما طبقات التجميل والمساحيق والألوان التي تخفي بها المرأة وجهها تحت اسم الجمال >>[4] .وهنا تدحض الفكرة التي تشكلت عند الغرب على أن الحجاب يخص العرب فقط موضحة أن<< النساء في الولايات المتحدة يرتدين الحجاب أيضا عقليا اعتقد أن حجاب العقل أكثر خطورة من قطعة القماش>>[5] . وبهذا ترى نوال أن جميع أشكال الحجاب ديني او مبعد حداثي كلها مجرد رمز سياسي تفرضه الحركات الأصولية من اجل استعباد المرأة فيصبح جسدها ملكا لرجال السياسة والدين والاقتصاد تحت اسم الدين أو لنقل الإسلام فتصبح المرأة ترى نفسها سلعة جنسية تغطى باسم الدين وجسد يتعرى ليواكب متطلبات السوق الاقتصادية و لها مثال شهير تجري فيه مقارنة بين الراقصة والمنقبة فالأولى ترى نفسها سلعة جنسية لابد أن تعرضها

[1] – نوال السعداوي، عن المرأة و الدين و الأخلاق،مصدر سابق ،ص37.

[2] – نوال السعداوي ، قضايا المرأة و الفكر و السياسة ، مصدر سابق ، ص182.

[3] – نوال السعداوي ، الأنثى هي الأصل ،مصدر سابق ،ص30.

[4] – نوال السعداوي ، قضايا المرأة و الفكر و السياسة ، مصدر سابق ،ص92.

[5] – إرنست إيمنيونو و مورين ايك، قراءات في أعمال نوال السعداوي ، تر: سها السباعي ، المركز القومي للترجمة للنشر و التوزيع ، ط1،مصر 2017 ص69.

و الثانية ترى جسدها سلعة وعورة يجب أن تحجبه وتغطيه. وما يثبت أن الحجاب عادة سابقة ودخيلة عن الإسلام هو أن الحجاب كان<< إلزاما على النساء في أشور حوالي القرن 12ق.م أما النساء الأخريات من الإماء وسيئات الصيت فكن يمنعن من ارتداء الحجاب تحت طائلة عقوبات شديدة >>[1] .وهي بذلك ترد على رجال الدين الذين يقولون أن الحجاب حماية للمرأة من التحرش ولا بد من تغطية المرأة حتى لا تفتن الرجل ويقع في الشبهات وان المرأة لم تعرف الحجاب في عهد الرسول محمد مصرحة أن الملابس لا تؤدي أي وظيفة أخلاقية بل إن الملابس لها علاقة بالجو ثم إن الذي يحمي المرأة هو عقلها ووعيها وليس حجابها حيث دعت الى رفع الحجاب عن العقل مؤكدة أن << اخطر حجاب هو حجاب العقل الذي يعكس القيم و يشوه الحقائق>>[2] . وبالتالي لماذا نفرض قطعة قماش على جسم المرأة باسم الإسلام أليس هذا تشويه لأحد الحقائق التي لم ينادي بها الإسلام.

كما نعرف أن نوال درست الأديان السماوية الثلاثة وانتقدتها جميعا وارتأت أنها كلها ألصقت برغبات الرجل ومنه اضطهدت المرأة إذ تقول <<تتضمن الأديان الكبرى في العالم مبادئ متشابهة من حيث تبعية المرأة للرجل و تمتع الإله بصفات ذكورية و تثبيت القيم الطبقية وسلطة الرجل في البنت و المجتمع>>[3] .ما يعني في ذلك أن الأديان تتشابه وتميل إلى نفس الفكرة التي مفادها أن الإله يتحلى بصفات ذكورية وهنا تشبه سلطة الرجل على الأنثى و المجتمع بسلطة الإله على الكون .ومع ذلك نجدها تؤمن بان الله هو العدل و إننا نعرفه بواسطة العقل أي أن كل واحد منا مطالب أن يعرف الله ويفهم الدين بواسطة عقله وأن يكون مسؤول عن فهمه لدينه أمام الله فهي ترى أن مفهوم الدين استولى عليه رجال الدين لخدمة مصالحهم حيث تقول << إنني إذا اخطات و كان خطئي ناتجا عن اجتهاد احد رجال الدين فان هذا الرجل لن يتحمل المسؤولية عني إمام الله .فالإنسان المسلم رجل أو امرأة مسؤول مسؤولية شخصية عن فهمه لدينه>>[4].إضافة إلى هذا دعت إلى العقلانية و استقلال العقل واستثماره و تحريره أي انه من حق العقل أن يفسر الدين بعيدا عن أي سلطة و رأيها هذا أشبه برأي المعتزلة في تقديم العقل عن النقل و تقول <<في طفولتي قال لي آبي .جادلي في كل شيء وتشككي في كل شيء حتى الدين فالإيمان بالوراثة لا يكون إيمانا>>[5] فاليوم أغلبيتنا إيمانه باطل لأنه متوارث عن آبائنا وأجدادنا أرغمنا باعتناق دين معين دون أن تكون لنا حرية في اختيار دين يناسب أفكارنا التي نؤمن بها .أيضا تقول كان أبي <<يؤمن بان الله ليس نصا أو كتابا يخرج من المطبعة بأموال الحكومة لكن الله هو العدل و الحرية والمساواة (...) بينما كان يرى عمي الشيخ أن النص ثابت ومقدس كان أبي يرى أن عبادة النص مناقض للإيمان وليس إلا احد مورثات

[1] – أيوب أبو دية ، الحجاب في التاريخ ، دار الفارابي للنشر ،د ط ، عمان 2011،ص39.

[2] – نوال السعداوي ، توأم السلطة و الجنس ، مصدر سابق ،ص45.

[3] – نوال السعداوي ، الوجه العاري للمرأة العربية ، مصدر سابق ، ص16.

[4] – المصدر نفسه ،ص210.

[5] – نوال السعداوي ، قضايا المرأة و الفكر و السياسة ، مصدر سابق ،ص 120.

الوثنية وكانوا في الوثنية يعبدون النقوش المقدسة على الحجر وتم استبدال الحجر بالورق بعد اكتشاف الطباعة>>[1] في هذا النص تعرض لنا نوال رأيين متناقضين رأي يرى الثابت وينفي المتحرك المتغير ورأي يرى عكس ذلك والاختلاف هنا يكون في المنطلقات فالرأي الأول ذو منطلق إيماني و الرأي الثاني ذو منطلق تاريخي ينظر إلى النص المؤسس باعتباره نصا تراكم لجملة المعتقدات التي حولت ونقلت من الحجارة إلى الورق أي من النحت إلى الكتابة والتدوين وهذه العملية الخميائية يشوبها التغيير والتبدل و عندئذ يكون النص لا الهي بل وثني لانزياحه في مقاصد آياته زمنيا و لسلطة الإنسان عليه وبهذا تكون السعداوي رفضت كل أشكال الوثنية تلك التي ارتبطت بإتباع النصوص فقد اعتبرت أن تقديس النص وجعله ثابتا إشراكا بالله وقد فسرت هذا بطريقة رمزية.أيضا دعت نوال السعداوي إلى تغيير النصوص الدينية وأنه لا وجود لنص ثابت وقد تعود رجال الدين تخويف الناس بالثوابت الدينية لكن في الحقيقة هناك العديد من الآيات التي سقطت عبر الزمن لاسيما المتعلقة بالرق والعبودية وهنا تقصد نوال تجديد الخطاب الديني ليصبح يواكب العصر و المصالح الاجتماعية<< فالإسلام يقر مبدأ الاجتهاد والاجتهاد هو تنزيل النص على الواقع او رفع الواقع او المصلحة المتغيرة على النص الثابت.كان ابي يردد هذا القول المأثور عن بعض الأئمة إذا تعارض النص مع المصلحة غلبت المصلحة لان النص ثابت والمصلحة متغيرة>>[2] وهنا لا تخص بالذكر الإسلام فقط بل جميع الأديان لان ليس الإسلام وحده يملك الحقيقة .

وما تستهجنه نوال أن النظام الأبوي بات يستغل الدين من اجل فرض التسلط الذكوري عن طريق الفتاوى التي تعارض تحرر المرأة بشكل مطلق وهذا يعني أن <<الحياة التي عاشتها النساء بالفعل قد دفعت الفقهاء إلى تفسير الشريعة بشكل أكثر محافظة كلما جنحت النساء إلى التحرر كلما تشددت التفسيرات>>[3].وهذا يدل على أن السلطة الدينية ليست منفصلة عن السلطة الذكورية التي يمجدها النظام السياسي فنوال لاحظت أن أغلبية الفقهاء في التاريخ الإسلامي هم رجال وبالتالي ترفض التقيد والأحكام التي يلقيها المفسرين وهم ذكور لا يفهمون عالم الأنثى ولا يغوصون في خباياه ومع ذلك يفتون في قضايا المراة والأسرة وعليه تكون فتواهم ذكورية <<أصبحت المرآة في بلادنا أول ضحية للتزمت و الجمود و الردة المفروضة بالتيارات الدينية المتصاعدة و أول ضحية للانفتاح و الفساد الأخلاقي و التحرر المزيف >>[4]فهي ترفض منح المرأة حريتها وحقوقها في جانب دون الجوانب الأخرى والتركيز على الحرية الجسدية أو الجنسية دون الفكرية العقلية فالحرية بالأساس هي حرية الضمير والفكر لذلك فان بعض دعاة التحرر هم في الحقيقة يحاربون المرآة وليس تحريرها وهذا أيضا ترفضه السعداوي فهي تسعى استقلال المرأة الكامل فكريا وجسديا بحيث تصبح سيدة نفسها و ضميرها وقرارها ولها قدرة على فهم ذاتها و اختيار دينها وفهمه و قبول ورفض ما تشاء بعيدا عن أي سلطة أبوية.

---

[1]- نوال السعداوي ، عن المرأة و الدين و الأخلاق ، مصدر سابق ،ص36.

[2]- المصدر نفسه ، ص 36 .

[3]- أميرة الأزهري سنبل، النساء ة و الأسرة و قوانين الطلاق و الزواج في التاريخ الإسلامي ، تر: أمال على مظهر و آخرون ، مر : رؤوف عباس ، المجلس الأعلى للثقافة للنشر دط ، مصر،1999.

[4]- نوال السعداوي ، توأم السلطة و الجنس ، مصدر سابق ،ص180.

تنطلق نوال من فكرة << أن الدين سياسة والسياسة هي الدين بعبارة أوضح أن الدين ليس إلا اديولوجيا سياسية تنظم للناس حياتهم>>[1].بمعنى أن يوظف السياسي الدين كمصدر يضفي مشروعية تحكمه في المواطن و تبرير استبداده واستمراره في الحكم ولما كانت المرأة هي الحلقة الأضعف في سلم الحكم فان ثورتها باتت مقررة أيضا يمكن القول أن ارتباط الدين بالسياسة إلا لكسب الطبقة الحاكمة مزيد من القوة والدعم وهنا يصير الدين احد الأسباب التي تخلق وتدعم فكرة الطبقية حيث أن كل طبقة تصبح تستعمل الدين وفقا مصالحها .أيضا السياسي يستعمل الدين من لإجبار الناس للامتثال لأوامر السلطة وفي هذه الحالة تتحول السلطة الدينية مباشرة إلى سلطة سياسية أي أن الدين يصبح ذريعة لتبرير الفساد السياسي وماركس معه حق عندما قال أن الدين أفيون الشعوب وهي بذلك ترى آن الكتب السماوية هي كتب سياسية الأمر الذي يجعلها ترفض تسيس الدين مثلا تحت مسمى الإسلام السياسي *.أما الدين الذي تنشده السعداوي فانه ذلك المرتبط بالروحانيات و الجانب السامي بعيدا عن كل التوظيفات التي تدنسه خاصة السياسة ومدام الدين يرتبط بالطاقة الروحية للإنسان. هذه الطاقة القادرة عند تفعيلها بشكل سليم أن تبني مثلما أن توجيهها بشكل خاطئ يمكن أن تهدم و قد استغل على طول التاريخ الساسة ميزة الدين هذه فالحدود بين السياسة و الدين متواشجة فمثلما الدين يوجه الطاقة الإنسانية فان السياسة كذلك.يجب أن توجه إدارة الفرد لنفسه ومجتمعه إلا أن الذي تحقق هو أن السياسة استغلت الدين لأغراض بعيدة عن مقاصد هو ما وجدناه في السلوك الاستعماري الذي اجتاح العالم الإسلامي تحت غطاء رسالة الرجل الأبيض ومن خلال منظمات التبشير التي تروج للاستعمار فلا يدرك << الناس العلاقة بين نمو القوى الرأسمالية الاستعمارية الجديدة والتيارات الدينية السياسية اليمينية التي رأت أن سيف الله ينجح أكثر في قتل المعارضين من سيف الحاكم و يصبح الدين ورقة سياسية رابحة في المعارك الدائرة ومن يعارض يتهم بالكفر أو الإلحاد وهي تهمة اخطر من الخيانة السياسية أو خيانة الوطن>>[2] وهو ما نجده في معظم البلاد الإسلامية أيضا التي تحاول الظهور بالتزامها بالدين حيث نجدها انتقائية تنتقي من الدين ما يخدم مصالحها وتترك ما يخدم مصالح الناس فنلاحظ مثلا على مستوى العالم الإسلامي تقتصر من الدول بالتزامها بالدين من خلال تشريعات الحدود كالرجم في مسالة الزنا و القصاص أو قطع يد السارق وغيرها إلا أنها تحاول الأخذ بمجمل النظام الأخلاقي الإسلامي القائم على العدالة والحق فلا يمكن تجزئة النظام الديني وتطبيق أجزاء وترك أجزاء أخرى و هكذا نلاحظ آن الذي يطالب بالعدالة في المجتمع يتهم بوصفه بالمفسد والجاهل و يقومون بإنهاء حياتها كما أن المطالبة بتحسين العيش وتوفير متطلباته تدفع بهذه الدول للعنف ضد أبنائه وهو ما يمكن أن يدفعهم إلى السرقة لتوفير قوت يومهم مما يجعلهم تحت طائلة العقاب بقطع اليد مثلما نلاحظ دولا أخرى تحاول أن تخالف بعض التشريعات ليس لأسباب تحررية آو تقدمية بقدر ما هو

[1]– نوال السعداوي، عن المرأة و الدين و الأخلاق ، مصدر سابق ،ص73.

[2] – نوال السعداوي ، قضايا المرأة و الفكر و السياسة ، مصدر سابق ،ص99.

*الاسلام السياسي: هو السعي إلى ممارسة السلطة و إقامة النظام السياسي الإسلامي الذي يرجع في أصوله إلى المجتمع الذي اقامه محمد صلى الله عليه و سلم في المدينة المنورة و إحياء الخلافة الراشدة ولكن من خلال حزب إسلامي سياسي أو حركة سياسية إسلامية يكون لها الحق في استخدام كل الوسائل المباحة و الجائزة في الصراع السياسي .نقلا عن :(ياسر العلوي معجم المصطلحات السياسية ، معهد البحرين للتنشئة السياسية للنشر ،د ط ، البحرين 2014،ص15).

لأغراض سياسية وقد <<استطاعت السلطة السياسية في بعض البلاد مثل تونس والصومال أن تخالف الشريعة الإسلامية فيما يختص بقوانين الزواج والطلاق والإجهاض وان تضع قوانين جديدة تمنع تعدد الزوجات و تحدد حرية الرجل في الطلاق وتبيح الإجهاض وتساوي المرأة والرجل في الميراث>>[1].و قد ارتكنت أو استندت هذه الدول في تشريعاتها أيضا إلى رجال الدين إذ تعارضت المصلحة الخاصة لبعض رجال الدين في تدعيم مراكزهم من خلال التماشي مع مصالح الأنظمة السياسية مما يدل على مستوى الاختلاف ضمن طبقة رجال الدين في تفسيراتها وفقا للمصالح السياسية اللادينية فلا تختلف<< السلطة السياسية في البلاد الإسلامية في تفسيريها آو تطبيقها للشريعة الإسلامية حسب ظروفها الاقتصادية ولكن رجال الدين الإسلامي أنفسهم يختلفون في تفسير الدين حسب مصالحهم ومدى ارتباطهم بالسلطة السياسية أو حسب مستوياتهم الثقافية أو الفكرية>>[2].

ثانيا : المرأة و الجنس

الجنس كلمة تبدو عادية إلى حد بعيد، لكن مهلا ليست عادية بالنسبة لمن ؟ طبعا بالنسبة للرجل فقط ، بل أكثر من هذا فالرجل يراها شيئا ضروريا لاستكمال سيطرته ولإبراز تفوقه ، ولكن تفوقه هنا على من ؟ من البديهي هنا أن يكون هذا التفوق على المرأة لكن لماذا آلت المفاهيم إلى ما هي عليه الآن ؟ ومن المسؤول عن هذا ؟

إن الإجابة عن الأسئلة أعلاه أمر شبه مستحيل من الناحية الإجرائية العملية ،كونه يرد إلى تراكمات ألاف من السنين خلت أو بالأحرى يمكن القول أنه يندرج ضمن خانة اللامفكر فيه أو بعبارة أدق يعتبر هذا الاختلاف شيئا طبيعا وعادلا لا يمكن تغييره

لكن نجد أن هذه الفكرة لم ترض الجميع ! بل كانت محل سخط الكثيرات من النساء بدرجة أكبر ، وسخط الكثير من الرجال بدرجة أقل . فكيف ذلك؟

<< بدأ الصراع مع أنوثتي مبكرا جدّا ، قبل أن تنبت أنوثتي وقبل أن أعرف شيئا عن نفسي وجنسي وأصلي ، بل قبل أن أعرف أي تجويف كان يحتويني ، قبل أن ألفظ إلى هذا العالم الواسع >>[3] إن القول السابق يرجع إلى أحد أكثر النسويات العربيات الرافضات للهيمنة الذكورية ، و لفكرة النقص المقترن بالأنوثة ، نوال السعداوي.

إن كلمة صراع التي تفتح به صاحبة كتاب مذكرات طبيبة قولها السابق تشير بلا شك إلى الرفض والتمرد ، رفض فكرة النقص الذي يرتبط بالأنوثة والتمرد عليه ، وإلى عدم تقبل شكل جسمها في المراحل الأولى من حياتها ، وهو الأمر الذي يحدث مع جميع الفتيات في المراحل الأولى من حياتهن ويشعرهن بالخجل ، إذ تقول مرة أخرى عن علاقتها بجسمها الأنثوي : << ما هذا الجسم الغريب الذي يفاجئني كل يوم بعار جديد ، يزيد ضعفي وإنكماشي ؟ ترى أي شيء اخر سينبت في الغد على جسدي ؟ أو ترى

[1] – المصدر نفسه ، ص143.

[2] – المصدر نفسه ، ص 143.

3– نوال السعداوي ، مذكرات طبيبة ، مؤسسة هنداوي سي اي سي للنشر ، د ط ، مصر ، 2017 ص 1.

أي ظاهرة أخرى جديدة تتفجر عنها أنوثتي الغاشمة ؟ كرهت أنوثتي ! >>[1] لكن من المسؤول عن كل هذه العقد التي تصيب أغلب النساء من أنوثتهن ؟ إنه الرجل . أو كما تردف أحد النسويات هذا الرجل القذر!

إن احتقار المرأة لم يتوقف عند هذا الحد من النظرة الدونية لشكل جسمها فقط بل تعداه إلى محاولة تشويهه وتغييره والحط منه << إنّ الفكرة التي شاعت خطأ منذ التاريخ البعيد على أنّ الرجل سيد المرأة ، وإنّها ليست إلّا أداة لإمتاعه ووعاء أطفاله قد أباحت للمجتمع أن يستأصل من جسد المرأة ما يشاء ويهمل مايشاء لتصبح المرأة مجرد الرّحم الذي ينجب الأطفال >>[2] نقصد هنا التطاول عليه فيما يعرف بظاهرة الختان الذي يطال أعضاء المرأة التناسلية بالتحديد بظرها ، وكل هذا ناتج عن عدم محاولة الرجل هذا الأخرق الذي يدعي أنّه متفوق على المرأة ، أن يفهم جسم المرأة ويخصص جزءا من وقته لاكتشافه والتعرف عليه بدل احتقاره و استغلاله ، فهو لا يولي أي اهتمام برغبات المرأة وعلى رأسها الرغبات الجنسية ، و يعتبرها كائنا بلا إحساس خلق ليلبي رغبات الرجل فقط ، ونتيجة هذا الجهل قام الرجل باستئصال أحد أهم الأعضاء المسؤولة عن النشوة الجنسية للمرأة .

<< لكن الرجل لا يعرف ذلك ، ويركز في علاقته الجنسية مع المرأة على المهبل أ, عنق الرحم ويتجاهل البظر ، وهذا هو أحد الأسباب في أن معظم النساء يتزوجن وينجبن عشرات الأطفال ثم يمتن ويدفن قبل أن يعرفن لذة الجنس أو يصلن مرة واحدة إلى قمّة اللذة >>[3] وهذا كله تدمير للمرأة ، و إهانة لها ،واعتداء عليها ، واحتقار لكرامتها واستعلاء على مكانتها .

ويرجع التأصيل التاريخي لهذا الاستحقار المستفز للمرأة من خلال الفصل بين ثنائية الجسد والروح التي تكلم عنها الكثير من الفلاسفة من بينهم أرسطو ، أفلاطون ، كانط ، سبينوزا ... وقد تولد عن هذا الفصل مشكلة جنسية خطيرة ، إذ إنفصل الجنس عن الحب.

وقد احتلت المرأة بسبب هذا الانقسام الوضع الأدنى ، باعتبار أنّها تمثّل الجسد المدنّس ، وأحتل الرجل الوضع الأعلى باعتبار أنه يمثل الروح السامية ويا لغباء هذا الطرح وسذاجته ! وهذا هو السبب الحقيقى وراء مختلف الأمراض النفسية التي تصيب النساء وبالتالي لا مفر من تغيير أفكار الناس السطحية والساذجة التي تتجذر داخل المجتمعات ويحتضنها عامة الناس إذا ما أردنا تحرير المرأة أو على حد قول السعداوي : << ومن هنا نرى أنّ علاج النساء يرتبط إرتباطا وثيقا بقضيّة تحرير المرأة ، وأنّ قضيّة تحرير المرأة ترتبط إرتباطا وثيقا بقضيّة تحرير المجتمع من الأسباب التي تدعو إلى إستغلال الإنسان للإنسان (...) وتمزيق النّاس إلى جنسين : جنس أنثوي مقهور ، يمرضه العدوان والبطش والظلم والإستبداد بالرأي >>[4] وبالتالي فالقضاء على هذا التمييز العنصري بين المرأة والرجل بات أكثر من ضرورة من أجل إصلاح المجتمعات وإحلال العدل داخلها.

1- المصدر نفسه ، ص 15.

2- نوال السعداوي ، المرأة و الجنس ، دار مطابع المستقبل للنشر ، ط4 ، الإسكندرية، مصر 1990 ،ص13

3-المصدر نفسه، ص 16.[3]

4-نوال السعداوي ، المرأة و الصراع النفسي ، مؤسسة هنداوي سي اي سي ، د ط ، مصر ، 2017، ص 92

إنّ المجتمعات الذكورية تضع الرجل في مرتبة أعلى من المرأة بكثير وحتى في أبسط مبادئ الحياة الجنسية العادية كالجماع مثلا << فيرى فوكو (...)أنه حتى الجماع يصبح حقلا لممارسة تفوق الرجل ، التفوق الذي يضمنه الجماع من حيث هو فعل وسيطرة وولوج >>[1] . لكن هذا خطأ جسيم ، فالعلم ينفي هذا نفيا قاطعا و ينتصر للمرأة في الكثير من الجوانب ، فمثلا أثبت الكثير من التجارب أن المرأة أقدر على التحكم في رغباتها الجنسية من الرجل ، وأنجح منه في التعامل مع كل مايتعلق بالجنس والحياة والجنسية ، وبالتالي كل المحاولات التي تسعى إلى عزل جسد المرأة وإخفاءه ، تهدف بالدرجة الأولى إلى حماية الرجل وليس حماية المرأة ذلك أنّ << المرأة أقدر من الرجل على التحكّم في ميولها الجنسيّة ، وبالتالي فإنّ الفصل بين الجنسين وسيلة لحماية الرجل وليس المرأة >>[2] وبالتالي فمن يمتاز بالحكمة والحنكة والعقل الكامل ، هل المرأة أم الرجل ؟

لا شك أن فكرة التفوق التي تعزى للرجل هي فكرة واهية ومترهلة لا يمكن الاستئناس بها أو لنقل أنها أضحت نوعا من حكايات الجدات المضحكة ! فالعالم اليوم وفي أرقى معاقل ودواليب الحكم السياسي امتلأ عن أخره بنساء يتباهين بأنوثتهن وبتفوقهن في الكثير من الأحيان واحتلالهن لمراتب أعلى من الرجل على الرغم من تواطأ المجتمع دائما وانحيازه الدنيء للرجل .

<< وإبتداءا من الولادة يعاد ضمن عملية الجمعنة إنتاج العلاقات الاجتماعية الملموسة ، وتوضع المقدمات لتقسيم العمل والتسلّط جنسانيّا وطبقيا وعلى هذا المنوال يعاد إنتاج العلاقات القائمة . >>[3] ولا شك أن التفوق يمنح جزافا ومنذ أول لحظة من الولادة للرجل لا لشيء إلا لأن جنسه مذكر ولكن هيهات فالأنثى سرعان ماتتفوق عليه وعلى مجتمعه وتتقلد أعلى المناصب وتنقل إليها لمسة الإبداع الأنثوية ، وهذا ما يعبر عنه فرويد بطريقة أكثر دقّة : << لقد أتيح لنا مؤخرا أن نكتسب المزيد من المقدرة على إدراك أن النمو الجنسي للطفل يتقدّم وصولا إلى مرحلة ينتقل فيها الدّور القيادي إلى العضو التناسلي ، غير أن هذا العضو التناسلي هو فقط العضو المذكر ، وبمزيد من الدّقة القضيب ، بينما يبقى العضو المؤنّث بمنأى عن الاكتشاف بعد ، هذه المرحلة القضيبيّة ، التي هي في الوقت نفسه مرحلة عقدة أوديب ، لا تواصل تطورها وصولا إلى التنظيم التناسلي النهائي ، بل يطويها زمن الكمون في جوفه وينوب منابها .>>[4] فما قاله فرويد لا شك جاء ناجزا منتهيا وجاهزا لا يحتاج لكثير من الشرح فالعضو الذكري لا يكون السيد دائما ! وكتدليل عن هذا نجد أنّ : << المرأة في المجتمعات الإنسانية المعاصرة تتبوّأ مركز الصدارة

1- تركي علي الربيعو، العنف و المقدس و الجنس في الميثولوجيا الاسلامية ، المركز الثقافي العربي للنشر ، ط 2 ، بيروت، لبنان ، 1995،ص154.

2- فاطمة المرنيسي ، ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية ، تر: فاطمة الزهراء ، أزرويل ، المركز الثقافي العربي للنشر ، ط 4 ، الدار البيضاء، المغرب 2005،ص16.

3- أورزولاشوي ، أصل الفروق بين الجنسين ، تر: بعلي ياسين ، دار الحوار للنشر ، ط 2 ، اللاذيقية، سورية ، 1995،ص63.

4- سيغموند فرويد، الحياة الجنسية ، تر: جورج طربيشي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، ط 1 ، بيروت، لبنان ، 1982،ص166.

تاتشرا في بريطانيا قبل تنحيتها ، أنديرا غاندي في الهند قبل مقتلها ، أكينيو في الفيليبين ، وأخيرتا نسوجلر في تركيا وغيرهن...>>[1]

ورغم كل ما أردفنا قوله سابقا لكن مازال هناك من يكابر ويعاند ويصر على استحقار الجنس الأنثوي وتهميشه خاصة في المجتمعات العربية << ففي بلادنا يقول بعض الرجال إن السياسة تفسد جمال المرأة وتحولها إلى حيوان سياسي مثل الرجل يشتهي السلطة والمال والعنف . >> [2]لكن من يساندون هذا الطرح من السهل بمكان دحضهم أو لنقل أن فصلهم بين الأنوثة والسياسة على أساس جنسي محض هو مجرد إدعاء سخيف لا أساس له من الصحة ذلك أن : << الحياة العامة الفاسدة أو السياسة الفاسدة هي التي تجرد المرأة أو الرجل من الجمال أو الرقة أو الإنسانية ، وتحولهما إلى حيوانات سياسية لا تؤمن إلا بالمصالح والمطامع ويتسم سلوكهما الخاص والعام بالازدواجية والتناقض >>[3] .

وبالتالي فالطرح الذي يعتبر الحياة السياسية تتأثر إذا اختلف الجنس الفاعل فيها ، هو طرح يمكن اعتباره مدعاة للسخرية أكثر من أي شيء أخر.!

ثالثا.الثورة والإبداع

ا/الثورة.

مند طفولتها كانت نوال السعداوي تحلم بالثورة وهي تشاهد الشباب الثائر في كليتها، أي كلية الطب وهم يتجهون كفدائيين إلى القنال. قناة السويس حيث تقول << في طفولتي كنت احمل السلاح في الحلم وأحرر الوطن لكن الكفاح المسلح كان للرجال فحسب لم يكن للمرأة أن تنال شرف تحرير الوطن .إن تطوعت في جبهة القتال لا تعمل إلا ممرضة أو مرفهة عن المقاتلين إن ماتت فداء الوطن لا تحمل لقب فدائية .مجدها الوحيد هو التمريض أو الترفيه>>[4] .

فالصراع مع الانجليز كان على أشده أما غضبها فكان يزداد وحماسها يتفاقم حين ترى زملاء لها وهم يعودون شهداء .وتقام لهم الاحتفالات و التأبينات في حرم الجامعة ،كل شيء كان يثيرها منذ إن شبت ودخلت كلية الطب ان زملاء لها كانوا وقودا للثورة.<< كان احمد حلمي احد الفدائيين الذين شاركوا في حرب القنال، ومهدوا الطريق لقلب نظام حكم الفدائيين كانوا وقود الثورة جنودها المجهولين يقفون في الصفوف الأولى صدورهم عارية يتلقون أول الضربات .يدفعون ثمن الثورة أو النصر لا يذكرهما احد الجنود المجهولين ليست لهم أسماء ولا وجوه إلا قطعة حجر تسقط مع الزمن >>[5].

1- تركي علي الربيعو ، العنف و المقدس و الجنس في الميثولوجيا الاسلامية ، مرجع سابق ، ص144

2- نوال السعداوي ، تؤأم السلطة و الجنس ، مصدر سابق ، ص201.

3- المصدر نفسه، ص 201.

4 – نوال السعداوي ، أوراقي حياتي ، ج2 ، مؤسسة هنداوي سي اي سي للنشر ،د ط ، مصر، 2017،ص42.

5 – المصدر نفسه، ص 39.

وربما لحسن حظها او سوءه إن يمتد بها العمر لتشهد ثورة حقيقة لم يقم بها العسكر كما حصل في 1952 بل تلك التي قادها الشباب سنة 2011 وتناوب عليها العسكر بعد رحيل جمال عبد الناصر .كانت ثورة كانون الثاني أو يناير الغاضب على تردي الأوضاع في كل مفاصل الحياة المصرية .حيث شاركت بها وشاهدت بأم عينها الشباب الذي يسقط برصاص الجيش أيضا ألاف الشباب الثائر شاب و شابات بعمر الزهور يصرخون فليرحل ،في ميادين مصر كلها .انه الشعب حين يثور وسرعان ما رحل من تحكم في مصير مصر أكثر من ثلاثين عاما ها قد رحل حسني مبارك، و انتصرت الثورة .لكن هل تحققت أهداف الثورة ؟ وهل كانت أهداف الثورة رحيل طاغية واستبدله بطاغية أخر؟.

لقد مثل انتصار الثورة لنوال حالة تشاؤم أكدت عندها تلك الثوابت ،التي أمنت بها طيلة حياتها .وتحدثت عنها في كتبها بحيث عانت من الاعتقال والسجن في ظل الأنظمة. الرافضة لجرأتها الشرسة في الإعلان عن مواقفها .أنها تجد حلم طفولتها يضمحل في اللحظة التي يصبح الثائر محل إدانة .ومثل ما يحصل دائما فنوال تستذكر كيف إن البوليس الذي هو مكلف بحماية الشعب وخدمته يتحول في ظل الأنظمة الدكتاتورية إلى أداة بيدها ليلاحق الثوار وذو الأفكار الجديدة. الأمر الذي أزعجها حيث المعتاد إن يكون عمل البوليس هو القبض على اللصوص والفاسدين والخارجيين عن القانون وليس لثوار المدافعين عن الوطن.

ورغم سقوط العصابة إلا إن أركان النظام المخلوع لازالت تتحكم ، في حياة مصر وتقودها في ذات المسار .لقد عاد العسكر ثانية على أكتاف ثورة الشباب .

وتعيش نوال حالة الأسى حين تجد تضحيات الشباب و الشابات، التي ملئت الميادين لم تفعل شيا سوى خلع رأس الحكم فقط وبقي جسده متغلغلا في مؤسسات الدولة ليست الحكومية فقط ،وكذلك الأحزاب السياسية والدينية من يمين ويسار فجميع من عاشوا واستفادوا ونافقوا الأنظمة السابقة يعودون بلباس جديد وهو ،ما تزعمه نوال على انه سرقة و إفراغ للثورة من مضمونها الحقيقي الذي يجب إن يقود إلى تغيير حقيقي في البنى الاجتماعية و الحضارية والسياسية والدينية في الدولة.

أما عن تنحي مبارك فهو لم يكن استجابة لمطالب الشعب الثائر .بل هو محاولة للالتفاف حول الثورة وسرقتها فقبل تنحيه أصدر مبارك مرسوما بتشكيل المجلس العسكري ليقود مصر بعده بدعوى حماية مصر .وهوا لزيف الذي شهدناه عبر التاريخ مند أن سقطت معظم الدول العربية تحت وطأة الاستعمار ،فالاستعمار البريطاني استحوذ على مصر بحجة الحماية .

وككل مرة تتسال نوال وكلها استهزاء <<كيف يصدر حاكم مخلوع أمر وينفذ؟ >> .[1]

ثم كيف لهذا الحاكم أن يعتقد نفسه الحامي للوطن دون أن يعي أن الثورة قامت بإزالته وإزالة مفهومه من رئاسة الدولة الذي كان يعتقد إنها تمثل السلطة المطلقة التي تستمد قدسيتها من رب السماء

[1] – نوال السعداوي ، نوال و الثورات العربية ، مصدر سابق ،ص78.

بل الأسوء من ذلك ان مبارك لم يخرج من البلاد بدعوى المرض الذي يتطلب علاجه داخل الوطن حيث تم وضعه في مشفى اقل ما يقال عنه انه فاخر كأنه فندق خمس نجوم،أيضا تتصور نوال أن مفهوم الحماية ينحدر إلى فترة العبودية الأبوية في التاريخ الإنساني حين ينظر الحاكم إلى شعبه بصفته رعية بحاجة ،لمن يرعاه كونه قاصر وبالتالي فهو بحاجة الى وصاية .

فلم يعهد الحكام إن يكون وصولهم إلى السلطة من خلال إرادة شعبية بل إن الأشكال التي طالما اعتقدنها ديمقراطية حقا هي ليست كذلك و ما هي إلا ضرب من العبودية

آمنت نوال بما أسمته بالحلم اللازوردي المتمثل في تغيير العالم بصفته المبدأ الذي التقت فيه مع زوجها وهذا التغيير يتمثل في المبادئ الثلاثة الكبرى عندها وهي كالآتي.

1/إسقاط الرأسمالية الكونية

2/ إحلال الاشتراكية

3/ العدل المثالي والحب [1]

كما تستذكر نوال حجم الغضب الذي انتابها يوم سمعت كلمة جبناء من فم الدكتور (دري) أيام دراستها بالكلية وهو من آخر الأساتذة الانجليزيين المتبقيين بعد رحيل الانجليز . بعد تصاعد الحركة الوطنية في مصر .ففي يوم من الأيام والدكتور (دري) يكتب على السبورة وهو يدير ظهره إلى الطلبة .انطلق صوت بين الطلبة إذ يقول لماذا انتم هنا أيها الانجليز). ادار وجهه إلى الطلبة وهو يقول إذا كنت رجلا انهض .لم يقف احد وهو ما جعل الدكتور (دري) يقول نحن هنا لأنكم جبناء هذه الكلمة كانت كالبصقة على الوجوه .كانت نوال تغلي غليان في أعماقها لتغدي روح الثورة فيها [2].فهي ترى إن الثورة لا تعني الانجليز فقط الذين جثموا على مصر بل الرأسمالية الكونية بجميع أشكالها وما الانجليز إلا فصل من فصولها وحتى لو رحل الانجليز دائما هناك من يحل مكانهم.

كما تعتقد نوال أن الثورة لا تكون ثورة إلا إذا قامت على فن المستحيل لان الثورة لا تجني ثمارها إلا بعد محاولات عديدة لهذا يقال الثورة أولها جنون و أخرها تعقل لان <<الثورة لا تختلف عن الجنون إلا أنها عاقلة وعقلها مبدع متمرد يكسر قوقعة العقل الخانع المطيع>> [3]

الا ان النهايات كشفت ان الثوار على مدار التاريخ و على الرغم من التضحيات التي حصلت في الثورات المصرية و أخرها ثورة 2011. حين تذهب تضحيات الثوار سدا ولا يكون مصيرهم إلا الاتهام والجمود .

[1] – نوال السعداوي ، أوراقي حياتي ، ج 2 ،مصدر سابق ، ص17.

[2] – المصدر نفسه،ص ص (43-44).

[3] – نوال السعداوي ، نوال و الثورات العربية ، مصدر سابق ، ص20.

وهو الحال الذي انتهى إليه ثوار مصر المنتفيضين حين اتهموا بأنهم عملاء للغرب وخونة للوطن وتم إيداعهم للسجون ونالوا التعذيب بجميع مستوياته سواء كان جسدي او نفسي إما الشابات الثائرات تحولن الى عاهرات في نظر السلطة وهذا خير برهان كيف انه كلما انتفض الثوار وعبروا عن رأيهم المعارض للسلطة يتم ردعهم بجملة من التهم التي تخد ش كرامة الشباب المتمرد الثائر.في مقابل كل هذا يتحول المجرم القاتل إلى بطل شعبي .وتمضي نوال في تشخيص الأسباب وراء المصير الذي يلاقي الثوار لان الثورة تقوم على الشجاعة و الصدق والإخلاص والأمانة والأخلاق حيث تقول <<العمل الثوري مثل العمل الإبداعي لا يفكر في العواقب لهذا لم ينل مبدع ومبدعة أي منصب أو جائزة دولة>> [1]فهو مشغول بالتفكير في التغيير والوصول إلى الأهداف التي رسمها.

في حين نلاحظ أن هناك من لا علاقة له بالثورة هو تحديدا من يستغل الثورة لتحقيق أغراضه البعيدة عن الثورة وأهدافها .فدائما نجد هناك اللاعبين السياسيين الذين يجدون فيها فرصتهم في تحقيق مصالحهم ونوازعهم ذلك أن<< الثورة لا تعرف الألعاب السياسية الثورة هي التمسك بالمبادئ على حساب المصالح .تحدي السلطة الفاسدة ودفع الثمن .هي كسر المحظورات و المحرمات و اختراق الخطوط الحمراء المفروضة بقوة السلاح والتخويف و التخوين و التربية والتعليم>>[2] لكن ما يجعل الثائر ثائرا ليس حمله للسلاح فقط بل تلك المبادئ التي توجه السلاح وهذا لا يتم في ظل تربية وتعليم قادر على التأسيس لثورة ثقافية من شانها إنتاج مواطن سليم بعيدا عن النفاق واللهث وراء مصالحه الشخصية .فعلى الرغم من القوى الكبرى التي تشكلها الجماهير الثائرة .فان دورها يبقى محل شك وعجز دون تنظيم و هي لابد إن تكون شاملة لكل مرافق الحياة .

ومما لا شك فيه أن مثل هذه الثورة الثقافية لا بد أن تنطلق من داخل البيت، و المدرسة فالأبناء يرثون القيم الخيرة من أبائهم مثلما يرثون القيم السيئة التي تتجدر في تركيبة شخصية الفرد،حيث تتحول القيم الثقافية إلى ملامح تحدد شخصية صاحبها و سلوكه فهي تعمل على << اقتلاع الكذب السياسي والنفاق الديني،من جذوره في الجسد والعقل والروح>> [3] ومنه تتغير تشخيصية الإنسان من خلال تزييف و إتلاف الحقائق بهدف التلاعب والخداع ولان السياسة من أرذل المجالات فإنها تجد في الكذب ضالتها و تغليفه بطابع ديني في حقيقة الأمر هو لا ديني ،وتنتهي نوال إلى تحديد المعالم الأساسية التي لا بد أن تمر بها الثورة لكي تصبح ثورة بمعنى الكلمة.<< تمر الثورات في التاريخ بمراحل ثورية متتالية أولها الثورة السياسية أي تغيير نظام الحكم في الدولة و إصدار دستور جديد وقوانين سياسية جديدة .تقوم عليها الأحزاب والانتخابات و السلطات التشريعية و التنفيذية و القضائية و تنظيم الصحافة والإعلام تعقبها ثورة ثقافية تسعى لتغيير التعليم والقيم الثقافية والفنية والعلمية و العقائدية .ثم تأتي بعد ذلك الثورة

[1] _المصدر نفسه، ص21.

[2] – المصدر نفسه،ص20.

[3] – المصدر نفسه، ص89.

الأخلاقية و تغيير القيم الأخلاقية الفردية و الأسرية و الاجتماعية.وهذه هي الثورة الأصعب و الأعمق الضاربة في جذور النظام السابق الساقط.>> [1]

فحين خرجت الملايين المصرية في الميادين خرجت النساء رفقة الرجال والأطفال و الشيوخ والشباب لتسجل ملحمة الثورة التي سعت السلطات جاهدة بكل قوتها لإنهائها . و كان الطرف الأضعف كما يتصورون بطبيعة الحال المرأة .تلك المكبلة بقيود العادات و التقاليد و نظرة التخلف و التهميش و كان سلاح السلطة ضدها الفهم المتخلف للشرف الذي يرتبط بالعذرية أو البكارة .وهكذا ابتدعت السلطات أسلوب حرب جديدة يتناغم مع النظرة الاجتماعية المتخلفة لكسر صمود المرأة و اندفاعها باتجاه الثورة .ابتدعت مفهوم الكشف عن العذرية في اتهام موجه إلى الشابات الثائرات بممارسة الجنس في ميدان التظاهر و الدفع بأهاليهم إلى منعهم حفاظا على السمعة المرتبطة بهذا الفهم الزائف وفي هذا الصدد نجد الدكتور علي حرب يقول << استطاعت المرأة المصرية الثائرة حتى الموت من اجل الكرامة والحرية و العدل أن تحدث ثورة في القانون الأخلاقي المزيف ومفهوم الشرف الوهمي >>[2] .إلا أن المرأة المصرية استطاعت بصمودها و تحديها أن تحدث ثورة في القانون الأخلاقي الزائف و إن تثبت للجميع بان للمرآة عقل اكبر من عقول الحكام وإنها ترفض أن يتم اختزالها إلى مجرد جسد يغطى ويعرى حسب مصالح الطبقة الحاكمة سياسيا و دينيا .لقد أحدثت حقيقة ثورة أخلاقية ضد النظرة الدونية للمرأة و اثبت أن الشرف يكون ضد الظلم و الاستعباد فالشرف هو الثورة . ورغم<< مشاركة النساء جنب إلى جنب مع الرجال في الثورة التي أدت إلى سقوط مبارك إلا أن النساء وجدن أنفسهن مستبعدات من عملية الإصلاح السياسي>>[3].

ب/ – الابداع

نوال السعداوي تعتقد ان السبب الرئيسي الذي ساهم في ما نحن فيه من تخلف هو التعليم , فالذي لاشك فيه ان التطور الأخلاقي والإنساني يعتمد بشكل مباشر على حرية التفكير , فحيثما تتوفر هذه الحرية فلابد ان تنعكس على السلوك والعمل الإبداعي العلمي والاجتماعي , والذي يعيق حرية التفكير هذه سببان رئيسيان هما : التلقين في التعليم والخوف . فهي ترى ان << البناء العام للعقل في بلادنا يستند الى التلقين والحفظ والتبعية الفكرية , في العلوم والاداب والفنون , وفي التعليم الديني>>[4] و ان التعليم القائم على النصوص التلقينية يؤدي الى التعصب سواء لعلاقات الدم او القبيلة , وهو ما يساهم في التخلف والخراب حيث تقول << يتم تخريب العقل والضمير منذ الطفولة عن طريق التربية والتعليم والثقافة والأخلاق والدين>>[5] وتبني نوال وجهة نظرها على ان قوام التقدم المرتبط بحرية التفكير هو الجدل , فالجدل يعني عدم التسليم السلبي بما يتم تلقينه , بل إخضاعه لحالة

[1] – المصدر نفسه، ص84.

[2] – علي حرب ، الثورات القوى الناعمة في العالم العربي من المنظومة إلى الشبكة ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،ط2، بيروت ، لبنان ،2012،ص55.

[3] – خديجةشريف واخرون ،الثورات العربية اي ربيع النساء ؟، تقرير الفيدرالية الدولية لحقوق الانسان ،المغرب ،2012،ص16.

[4] – نوال السعداوي ، نوال و الثورات ،مصدر سابق، ص17.

[5] - المصدر نفسه،ص78.

الشك , <<ذلك ان الشك هو أساس الجدل والتفكير الحر>> [1]فحينما يمتلك الفرد أو يتربى منذ طفولته على شجاعة الشك , والقدرة على الجدل والنقاش عندها فقط يمكنه أن يشارك في إبداع العلم والفكر الجديد . فلابد للتعليم ان يرتكز على قوانين علمية قابلة للجدل والنقاش , وليس على نصوص تحفظ عن ظهر قلب , فالتطور الفكري والثقافي والأخلاقي لايمكن ان ينمو ويتطور في أجواء غير صحية , وان التأسيس للعمل الإبداعي لابد أن يتم باعتماد قوانين علمية تتسم بالمرونة وقابلة للجدل والنقاش مما يفتح الأذهان للتطور والنمو . فرقي المجتمعات مرهون بهذا التفتح العقلي مثلما ينعكس على الفرد تطورا أخلاقيا وإنسانيا.

فالتعليم يجب ان يقوم على النظر النقدي ومحاكمة ما نتلقاه وهذا لا يتم إلا بالربط بين الحرية والمسؤولية , فبقدرما يجب فتح الأجواء أمام حرية المبدع للمساهمة بعطائه بقدر ما يجب رفع الوصاية عنه , فلا يمكن للإبداع أن ينمو ويزدهر في أجواء الشك والرقابة , فالمبدع مسؤول عن إبداعه أمام متلقيه وهم قراءه ومستمعه ،بل ترى أن القارئ او المتلقي هو الأحق ان يكون حكما وقيما لأنه الأقدر على تمييز ذلك فالشعب الذي نحمله مسؤولية انتخاب النواب لقيادة البلدان لا يمكن التشكيك بقدراته على الحكم على الإبداع أن الكثير من الأعمال التي تظهر على الساحة الثقافية والإبداعية سرعان ما تسقط وتغيب حين يعزف القارئ أو المتلقي عنها في حين نلاحظ .إقحام جهات إدارية او حكومية في هذا المجال ربما يحقق عكس ما ينبغي , فحين يتم منع عمل معين من قبل جهة لا علاقة لها بهذا العمل سرعان ما تدفع القارئ او المتلقي إلى، الإقبال عليه تبعا للرغبة الإنسانية بحب الاطلاع والفضول مما يخلق إقبالا مرضيا على أعمال لا تنسجم مع الذائقة الثقافية وهو ما يحرف توجهات الوعي الاجتماعي والثقافي ،ان أسلوب الوصاية الذي يتم اعتماده في بلداننا من قبل الحكومات يساهم بتكريس الخراب الإبداعي ،الذي اعتاد مجتمعنا على سلوكه في تربية أبناءه منذ الطفولة فالحرية والمسؤولية وجهان لشيء واحد وهو ما لا ينسجم مع أساليب القمع والطاعة التي تتربى أجيالنا عليها فنوال ترى <<ان الطفلة او الطفل الذي يتربى في جو من الحرية والجدل والمناقشة , بدلا من القمع والطاعة , ينشأ مبدعا حرا ومسؤولا في أن واحد عما يفعل وعما يكتب >>[2]. ان ما يسود ثقافتنا لا يرتكز على الحوار وتبادل الرأي والقدرة على الإقناع بل يقوم غالبا على القهر السياسي والاقتصادي المتمثل بحالة الإقصاء والتهميش للمبدع ما دامت الدولة تحتكر أجهزة الإعلام والثقافة والتي جعلت من نفسها حكما على الأعمال الإبداعية، ان الممارسات الشاذة التي تطال الأعمال الإبداعية تترافق مع السبب الثاني الذي تطرحه من اسباب تخلفنا وهو الخوف .

وعلى الرغم من ان نوال تؤمن بالعلاقة الوثيقة بين التمرد والإبداع , إلا أن التمرد في ظل أنظمة دكتاتورية له ثمنه الذي غالبا ما لا ينسجم مع الإبداع وتتردد في كتاباتها دائما تعابير عن مشاعرها وهي ،تسمع اصوات التهديد التي تطلقها جماعات متطرفة تسعى للنيل من حياتها , بل ان تلك الجماعات اعتادت ان تنشر قوائم باسماء من ترى ضرورة التخلص منهم وتصفيتهم , وقد أصابها الرعب وهي تسمع اسمها يتردد بين الاسماء التي تطلقها مكبرات الصوت , ونوال تعبر عن هذا الهلع والخوف بان القلم يتجمد بين

[1] – المصدر نفسه,ص18.

[2] – نوال السعداوي ،كسر الحدود ، مصدر سابق ، ص166.

اصابعها فلا تستطيع مواصلة كتابتها , ويزداد خوفها وهي تبدء بعمل ابداعي جديد تخشى أن يطالها الموت ولم تتمه , فالإبداع المحاط بالقلق والرعب غالبا ما ينتكس , فهو بحاجة الى صلابة قادرة على الدفاع عنه , وفي هذا ما يكشف عن الدور الخطير الذي تمارسه الأنظمة الدكتاتورية في إجهاض الإبداع وشل حركتهم في تقديم ما يسهم في رقي المجتمع وتقدمه , ولعل هذا احد جوانب العقم الإبداعي الذي يشهده عالمنا العربي الذي يرزح تحت تسلط دكتاتوريات يشعر المبدع دائما بالقلق والخوف فيها من (زوار الفجر) . وبالقدر الذي يشكله الخوف في نفسها نلاحظ أن نوال تسعى جاهدة لان تغرق نفسها بالكتابة تسابق الزمن عنه << أغرقت نفسي بالكتابة , أسابق الزمن اخشي أن يسبقني , فكرة الموت تراودني دائما مع عملية الخلق , ينتابني القلق كلما بدأت عملا إبداعيا أحوطه بذراعي كالطفل اخشي عليه الضياع , امشي فوق الرصيف اخشي أن تصدمني سيارة , لا ابغي من الدنيا سوى أن أعيش لأكمل العمل , لينمو المخلوق الصغير ويستقل >> [1]وكثيرا ما توقف القلم بين يدي نوال وهي تشعر بان عقلها كالارض البور الصحراء القحط لا تنبت فيها زهرة وهي تسمع التهديدات التي توشك ان تطال حياتها تقول << كنت اتلقى التهديدات بالقتل , اصوات مجهولة تاتيني عبر اسلاك التلفون , شتائم باللغة العربية الفصحى , والعامية المصرية , تشوبها احيانا كلمات ...خليجية , سعودية , وكويتية وجزائرية , عبر البريد تاتي الشتائم على شكل رسائل بدون توقيع (ياكافرة)>> [2] ومع ذلك فايمانها بالعلاقة الوثيقة بين الابداع والتمرد يدفع بها قدما لان تحقق ما تشرع بتحقيقه من اعمال ابداعية , فهي تعتقد بالعلاقة الوثيقة كذلك بي.

لان تحقق ما تشرع بتحقيقه من أعمال إبداعية , فهي تعتقد بالعلاقة الوثيقة كذلك بين الألم والإبداع , فلابد للقلم ان يسير على الورق بحرارة الثورة والتحدي , ففي عالمنا العربي الحافل بمفردات القمع والخوف والتسلط لا يمكن أن يظهر المبدع إبداعه إلا إذا كان قوي الشكيمة صلب الجنان قادر على أن يقول ما يؤمن , وهو السبب الذي جعل هناك قلة من المبدعين في عالمنا , فالعقم الإبداعي ليس أمرا ذاتيا في مجتمعنا بقدر ما هو نتاج كل هذه الظروف الموضوعية التي تحيط به وتشل قدراته إن السبب العميق الذي يمس صميم أزمات بلادنا الفكرية والثقافية والإبداعية هو الخوف , ليس الخوف من الأنظمة الدكتاتورية فقط وليس بوليسها وزوار الفجر الذين غالبا ما يكونون ادوات السلطة في قمع اي بذرة ابداع بل كذلك ما يعتور تربيتنا البيتية منذ طفولتنا , فمجتمعنا يقوم بتربيته لابناءه على ثالوث مقدس لا ينبغي التقرب منه ومسه هو السياسة والدين والجنس ، وهو ما جعلنا مستهلكين لا منتجين للاكتشافات العلمية والفنية في العالم لان كل اكتشاف لابد ان يصطدم بواحد من ذلك الثالوث المحرم .

ولا شك ان فهم نوال للدين يرتبط بالممارسة السياسية التي طالما وظفت الدين ، لمصالح ورغبات بعيدة تماما عن أهداف الدين فالمشكلة التي تعتقدها هي ان تحريم المعرفة والوعي بات يتلفع بغطاء ديني تخدع به السلطات شعوبها لتمنعها من المطالبة بحقوقها في اعادة توزيع السلطة و الثروة بشكل اقل ظلما وأكثر عدالة للأغلبية الساحقة من الشعب . فنوال في نقدها لا تستهدف الدين

[1] – نوال السعداوي ، أوراقي حياتي ، ج2 مصدر سابق، ص25.

[2] –المصدر نفسه،ص26.

كدين بقدر ما تهاجم ما تفعله الأنظمة باستغلال روح التدين عند شعوبها وتوجيهه بما يعود بالسوء على الدين نفسه فنوال تعتقد أن الدين الشعبي القائم على الثقافة الشفهية الموروثة أكثر إنسانية ومرونة وحرية من الثقافة المكتوبة في سجلات المؤسسات الرسمية والمدارس الحكومية فما تم اعتماده بصفته دينا رسميا هو ،في حقيقته فهم بشري خاص لا يمت بالضرورة إلى الدين الحنيف . وهذا الفهم الخاص للدين هو الذي انتهى إلى تكريس تقديس النصوص لذاتها وتم اختيار ما بلائمها من هذه النصوص مما يتفق مع رفعها لمنزلة الحاكم إلى منزلة مندوب الله على الأرض وشرعن له قمع وإرهاب ،وتخويف كل معارض ورفض أي مشاركة جماهيرية في الحكم , وصار الحكام سوطا مسلطا على ضمير شعوبهم لتسقط هذه الشعوب في قاع الانغلاق والتعصب والبعد عن استخدام العقل والنقد . وتعيد نوال التأكيد على ما يزخر به تاريخنا الثقافي من جوانب مضيئة تم طمسها إتباعا لرغبات الحكام ففي << التراث الثقافي الإسلامي مدرستان , واحدة رسمية تفرض القيود على العقل , والأخرى معارضة تقاوم القيود , وتتبنى الأفكار المرنة المتحررة (...) لكن هذه المدرسة الثقافية حوربت على الدوام من جانب المؤسسات الحاكمة في بلادنا العربية وطغت المدرسة الدينية الرسمية >>[1] .

ما الذي ترتب على كل هذا ؟ لقد آدت المؤسسات الحاكمة المستبدة في بلادنا العربية بصفة عامة إلى نتائج خمس<< 1- مزيد من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية , 2- ازدياد الهوة بين الأثرياء والفقراء , 3- مزيد من التبعية للقوى الاستعمارية الغربية , 4- مزيد من التيارات الدينية المتطرفة , 5- مزيد من الشعارات عن الديمقراطية والحقوق السياسية والمدنية وحقوق الإنسان>>[2] والذي لاشك فيه أن المجتمعات التي تسعى للسير في طريق التطور الإبداعي والثقافي والعلمي والفني هي المجتمعات التي تختط لنفسها فلسفة للأخلاق والتربية تقوم على الحرية والمسؤولية لان هذا هو السبيل لخلق عقل نقدي إبداعي والبعد عن أساليب الترهيب والتخويف , فالإبداع عند نوال يتعلق بالخيال والأحلام والأفكار المسكوت عنها بسبب الخوف من العقاب او الطمع في جائزة, هكذا نرى كم تخطيء في حق أنفسنا , وكم نلعب دورا في قتل الضمير الإبداعي الحر حين يكون العقاب أو الجوائز هو الطريق الذي نتبعه للحكم على الأعمال الإبداعية . وعليه ترى نوال بأننا بحاجة إلى القارئ المبدع << اي القارئ الذي يستطيع أن يكون قارئا وناقدا , والذي تربى على حرية الاختيار , وبالتالي مسؤولية الحكم بنفسه على العمل الأدبي ولا ينتظر القرارات الإدارية أو التوجيهات من أعلى >>[3]مثل هذا القارئ الناقد هو الذي سيكون الحكم على العمل الإبداعي وليس الهيئات الإدارية كوزارة الثقافة مثلا وما تقوم به من ممارسات ظاهر الأمر فيها تقييم العمل الإبداعي كالجوائز مثلا فالخيال الحر المتفتح هو القوة الدافعة لكل تقدم وتطور وهو يقوم في أساس الإبداع في الحب والعلوم والاقتصاد والسياسة والفلسفة والجنس لأنه قوة اكتشاف المستقبل والتنبؤ به ففي كل ميادين العلم والمعرفة بما فيها العلوم الصرفية لم يتحقق آي تقدم لعالم لم يملك هذا المفتاح السحري (الخيال) وهو يقوم كذلك في أساس الثورات،والتمرد ضد التسلط والهيمنة بمختلف إشكالها والجهل والظلم ,وعليه فان قتل هذا الخيال في نفوس الشعوب هو حكم عليها بالبقاء ،في حضيض التخلف ولهذا نلاحظ دائما ذلك الحلف غير المقدس بين سلطة الدولة والمال والدين والإعلام والثقافة والتعليم الذي يسعى لخنق روح الإبداع والخيال في الفرد والمجتمع , ذلك انه << لا

[1] – نوال السعداوي ، كسر الحدود ، مصدر سابق ، ص285.

[2] – المصدر نفسه، ص287.

[3] – المصدر نفسه ،ص167.

يمكن للقلة الحاكمة أن تفرض الظلم،والتفرقة والقهر والفقر على الأغلبية ،من النساء والرجال والشباب إلا بالسيطرة على الأرواح والعقول >> [1].

وترى نوال ان هناك علاقة وثيقة بين الإبداع والخيال والإحساس بالعدل والحرية والحب وهو ما نجده بشكل جلي لطفل قبل ان يتم تخريب مشاعره بالتربية والتعليم , فنحن بحاجة آن نبقي مشاعر الطفل الذي يثور على آي ظلم يلحقه متأججة في نفوسنا ونرفض تخريبها بتلك الآليات التربوية التي يتعرض لها الطفل في مجتمعنا في البيت أو المدرسة أو مناحي الدولة المختلفة فلابد أن تبقى شعلة الإبداع متوهجة في نفوسنا وهذا لا يتم إلا بتربية تقوم على الحرية والعدل كموجهان للفرد والمجتمع وهو ما يجعل المبدع ينطلق من ذاته في تحديد الضوابط التي يسير عليها , لا تلك المفروضة , فهو وحده القادر على أن يجعله يشعر بالمسؤولية إزاء عطائه والارتقاء به إلى مستوى عالي من الجمال والذوق لتنتهي للقول << إن غياب العدل والحرية في اغلب العائلات يفسد خيال الأطفال ويقتل قدراتهم الإبداعية ويجعلهم مثل النقود , يصبحوا أدوات لغيرهم , غير قادرين على الإحساس بالعدل أو الحرية أو الحب , بمعنى آخر عاجزين عن الفضيلة آو الإنسانية الحقيقية ذات الضمير الحي >>[2] .

و كتوضيح أكثر لما تم عرضه في هذا الفصل نجد أن صاحبة الرائعة الفكرية اوراقي حياتي ما فتئت إلا و استمرت ترافع عن ضرورة إعادة هيكلة النظام السياسي هيكلة تضع المرأة و الرجل على قدم المساواة إذ ترفض رفضا قاطعا الأفكار المتداولة التي وصلت إليها بطريقة نجزة و منتهية الصلاحية حيث تعتبر أن المرأة مواطن من الدرجة الثانية و اقل رفعة من الرجل ، هذا ولا يخفى على احد أن السعداوي ضد استنباط الأسس القانونية و السياسية من الشرائع الدينية و على رأسها الدين الإسلامي بل تدعوا إلى ضرورة إحكام قوانين المواطنة وفق أسس عالمية مبنية على شعائر المساواة أمام القانون سواء فقراء أو أغنياء مسؤولين او من عامة الشعب رجالا أو نساء ، أيضا رفضت المفهوم التقليدي للشرف و دعت الى توحيد المقاييس الأخلاقية بين الجنسين و عدم جعل الدين ايديولوجيا سياسية أي تسييس الدين كما ركزت على مسألة الجنس كأحد الطابوهات المحرمة في المجتمع العربي ، كذلك ركزت على التعليم و العمل كآليتين أتغيير أسس السلطة في البلاد في دعوة منها إلى التمرد و الثورة و الإبداع.

[1] – نوال السعداوي ، نوال و الثورات ، مصدر سابق ،ص88.

[2] – نوال السعداوي ،كسر الحدود ، مصدر سابق ،ص194.

الفصل الثالث

تمهيد:

مضى على الحركة النسوية العربية منذ بواكيرها ما يقارب القرن من الزمن منذ أن أقنعت هدى شعراوي الجامعة المصرية لتخصيص قاعة للمحاضرات النسوية عام 1908 مثلما مرت الحركة بالكثير من التطورات حين لمعت الكثير من الأسماء النسوية وصولا إلى واقعنا الحالي و لكن يبقى التساؤل مشروعا : ما الذي قدمته هذه الحركة ؟ وما الأفاق المستقبلية لها ؟ و ما التحديات التي تقف أمامها ؟ و كيف يمكنها أن تقوم بدورها بالشكل الذي يخدم المرأة العربية ؟ و إذا كان انبهار هدى شعراوي بالمرأة الغربية حين زارت الغرب ،و المكاسب التي حققتها كانت المنطلق لبواكير الحركة فإلى أي حد استطاعت الحركة النسوية العربية بعد تطورها وصولا إلى نوال السعداوي و التي تمثل رمز من رموزها الكبار أن تفك ارتباطها بالانبهار بالغرب و تعكف على معالجة قضايا المرأة العربية ضمن خصوصياتها لا استنساخ المعالجات المرتبطة بالمرأة الغربية؟ إلى أي حد استطاعت الحركة النسوية العربية أن تطور قضاياها التي تعمل على ترسيخها دون البقاء و البحث عن قضايا لا تمت كثيرا إلى صلب ما تعانيه المرأة العربية بالإضافة إلى ما تحمله من مضامين تجعل هذه الحركة و كأنها في موقف يسعى لهدم القيم الأخلاقية لا الانتصار للمرأة مما يجعلها في صراع مع المشاعر الاجتماعية و يصبح ذريعة للطعن فيها و حجب تأثيرها ؟ ثم إلى أي حد استطاعت هذه الحركة برموزها أن تنأى عن التأثيرات السياسية الداخلية و الخارجية لتكون صوتا نقيا ممثلا للمرأة ؟ و هل تمكنت أن تبتعد عن التدخلات الخارجية و فرض الاملاءات المباشرة أو غير المباشرة عليها ؟ كل هذه التساؤلات تختزل التحديات التي تواجه الحركة النسوية في الوطن العربي و الآفاق المستقبلية لها و التي سوف نحاول الوقوف عندها في هذا الفصل . متخدين من التقييم لجهد رائدة النسوية نوال السعداوي ،والنقد الذي توجه ضدها منلطقا لبيان ما اكتنف هذه الحركة من ملاحظات ومؤشرات ساهمت، من قريب او بعيد في الموقف العام من احركة النسوية العربية بشكل عام لنباشر بعدها بيان واقع هذه الحركة وافاقها المستقبلية.

أولا / نوال السعداوي في ميزان التقيم والنقد :

أ/ التقييم:

في ظل الظروف بالغة التعقيد التي يعيشها العالم العربي حيث هيمن الجهل و التخلف و شيوع الدكتاتوريات الأبوية و ملاحقة الأصوات الواعدة بالرفض للوضع القائم و عبر الظلام الذي بدى مخيما على كل مفردات الحياة الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الثقافية انبعث صوت خافت من قرية نائية في مصر ، كان الصدى لصرخة مولود شاء قدره أن يكون فتاة و هي تواجه أول امتحان بحياتها (الختان) ، كان الأثر عميقا رافقها طيلة حياتها وحدد مسارها و سرعان ما بات الضوء أكثر سطوعا حيث دخلت تلك الفتاة كلية الطب لتتفتح أفاقها العلمية و يتوسع

فهمها و تقف عند مسالك امتهان المرأة في مجتمعنا و مدى سوء الفهم الذي اجتاح مجتمعنا فحرف نظرته إلى بناته و كرس جهده للدفاع عن مفاهيم مضللة يبدو ظاهرها ،يمت إلى القيم السامية و سرعان ما تكشف لها باطنها الذي يحتضن كل مفاهيم التسلط و الإكراه و التقليل من شأن المرأة ،حيث كان شعورها بثقل الهيمنة الذكورية مبكرا إلا أنه ازداد وضوحا كلما ازداد وعيها و تفتح.

اصطدمت نوال بعد نضجها و دخولها إلى كلية الطب بالنظرة الدونية التي تواجهها المرأة من أعلى سلطة فيها ، حيث حثها حسها الوطني لأن تشارك زملائها و أقرانها المهمات المقدسة في الدفاع عن الوطن و رفض الوجود الاستعماري فيه إلا أن صدمتها كانت قاسية حين وجدت أن المرأة في صفوف الدفاع عن الوطن مهمة حصرية هي الإمتاع لمن معها من الذكور و هو ما دفعها لرفض مثل هذه المشاركة.

كانت نوال السعداوي جريئة في الكشف عن خفايا الأمور فلم تمنعها النظرة المجتمعية التي تتطلب من الفتاة الصمت حياء عن تصرفات لا تقبلها بل كان صوتها صادحا بالرفض ،و كشف الزيف و بيان مواطن الخلل التي تنتشر في مجتمعها و قد وجدت نوال في مفهوم الشرف و الفهم الاجتماعي له أحد مرتكزات امتهان المرأة و اضطهادها.

فالنظرة التي تقصر الشرف على جزء صغير يتعلق بالجنس أو العذرية، وجدت فيه نوال مصادرة لهذا المفهوم الذي لا يرتبط بالجسد فقط بل بمحمل سلوك و تفكير و عواطف الإنسان و أن تحديده بهذه الصورة المخلة يستهدف غض الانتباه عن ممارسات السلطات المهيمنة الفاقدة لشرف السلوك و التفكير و هو ما جعلها تواجه قوى يصعب الوقوف بوجهها إلا من قبل من يمتلك الجرأة و الشجاعة و كانت نوال تمتلكها و هكذا باتت تكشف عن العلاقة الوثيقة بين السلطات السياسية المهيمنة و بين القوى التي تتدثر برداء الدين و كما قال الدكتور شريف حتاتة زوجها عنها .

<< تتلخص مشكلة نوال السعداوي في أنها لم تؤجر قلمها للسلطة الحاكمة في أي عهد و رفضت التخلي عن رأيها >>[1].

خاصة و أنها وجدت أن قيام الديكتاتوريات يرتبط بشكل وثيق بصالح القوى الدينية التي تحاول جاهدة أن تظهر الدين بالشكل الذي يحقق مصالحها ، فهناك ارتباط بين إشاعة فهم معين للدين و بين القوى المتحكمة بالمجتمع فرجال الدين أصبحوا سندا للأنظمة السياسية التي تكيف الأحكام بما يتلائم مع مصالحهم المشتركة و أن إشاعة هذا الفهم للدين يستهدف كسب التعاطف الاجتماعي مع السلطات التي تنتهك حقوق أبناء المجتمع و لعل أخطر ما واجهته نوال السعداوي هو الوقوف أمام الفهم الخاطئ للدين مما جعلها في مواجهة مع رجاله لان نوال لم تنتقد الدين كما زعم منتقديها بل انتقدت تفسيرات رجاله ومع ذلك ،كان الثمن اتهامها بازدراء الأديان و تذكر نوال موقف

[1] – نوال السعداوي معركة جديدة في قضية المرأة ، سينا للنشر ، ط01، القاهرة ، مصر ، 1992،ص10.

القضاء حول جمعيتها عن المرأة التي صدر أمرا بحلها و كان المبرر لذلك كما جاء في حيثيات الحكم << إن ممارسات الجمعية لا تتفق مع المصالح العليا للبلاد و تسيء إلى العلاقات بين مصر و بعض الدول الأجنبية و العربية و تهدد السلام و النظام الاجتماعي للدولة ، كما تنشر معتقدات ضد أحكام الشريعة و الدين الإسلامي مما يشكل مخالفة جسيمة و يكون قرار وزيرة الشؤون لحلها قائما على صحيح القانون >>[1] و هذا إن دل على شيء فهو يدل على أن هذه الاتهامات ضد نوال مرتبطة بمواقفها تجاه البعض من رجال الدين الذين اعتقدوا بأنهم فوق النقد بل كانت الأموال تدفع لأجل إسكات أي صوت ناقد لتلك الممارسات ، فهناك مثلا تقرير سري ضدها قدم من قبل مديرة وزارة الشؤون الاجتماعية بتهمها بأنها وجهت النقد لبعض الشخصيات الدينية الكبيرة و في هذا الصدد نجدها تتساءل بعد أن عرفت أن المقصود بهذه الشخصية الدينية هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد في السعودية) حيث تقول << ولا أدري هل أصبح بعض المشايخ في السعودية شخصيات مقدسة مثل الرسول عليه الصلاة و السلام و غير قابلة للنقد؟ بل أن الرسول نفسه كان يشجع المسلمين على نقده ، و عمر بن الخطاب أعجب أعجابا شديدا بامرأة نقدته فقال قولته (أخطأ عمر و أصابت امرأة)>>[2].

لقد كان فهم نوال للدين نقيا يستمد جذوره من تربية عائلية و فهم شعبي شفاهي يرى في الدين قيمة سامية تستهدف الارتفاع بالروح رغم أن الموروث المكتوب من قبل المؤسسات الرسمية استطاع أن يشوهه و يوجهه بمصالحه . الاقتصادية و السياسية فنظرة نوال للدين الإسلامي نجدها حافلة بالإكبار و الاعتزاز و هي تعيد التذكير دائما بما كان للمرأة المسلمة من مكانة في صدر الإسلام و ما حظيت به من احترام و تقدير في زمن الرسول بل أنها في معظم كتبها تقف كثيرا أمام سلوك زوجات النبي معه ،و تستعرض صورا لطبيعة تعامله معهم و الذي يبدو فيه كثيرا من التقدير و الاحترام بل لعل أوضح الأمثلة أن النبي كان يخاطب أتباعه بالقول خدوا نصف دينكم من هذه الحميراء ويقصد بها السيدة عائشة زوجته ، بل أن نوال تورد عددا من الوقائع التي تشير إلى قوة شخصية المرأة من خلال مواقف زوجات النبي في المناقشة و المجادلة معه في كثير الأمور وما كان يتعامل به معهن من تفهم و حوار بل وسعيه أحيانا لإرضاء من شعرت بعدم الرضا لأي سبب كان و على ما يبدوا أن شخصية المرأة في عهد النبي كانت ذات مكانة عالية عززها الدين الإسلامي و سلوك النبي و تقول<< إن المرأة العربية منذ ثلاثة عشر قرنا و في حياة الرسول محمد كانت أكثر إنسانية و أكثر أدمية من المرأة العربية اليوم – أليس ذلك سببا كافيا لبذل الجهود و التضحيات من أجل

[1] – المصدر نفسه ، ص17.

[2] – المصدر نفسه ، ص78.

الكشف عن الأسباب الحقيقية التي تسلب من المرأة أدميتها و إنسانيتها بل و تسلب الرجل أيضا ؟ إن الإسلام يتضمن كثيرا من الايجابيات التي يجب أن نظهرها و نفهمها فهما صحيحا نابعا من المراجع المعترف بها>>[1] .

و هكذا فنوال في نقدها للدين استهدفت الذكورية التي انطلق منها رجال الدين فالقوانين يكتبها الذكور و الأحكام الفقهية يفتيها الذكور و السلطات بيد الذكور ، فكيف يمكن للمرأة أن تجد الإنصاف في مجتمع ذكوري يدعي فيه الحاكم بأنه أب يجب طاعته و أن مخالفته لاي سبب كان هو شكل من أشكال العقوق ، تدعمه ثلة من الأقلام المأجورة التي لا وظيفة لها إلا تلميع و تجميل صورة الحاكم.و هو ما جعلها أيضا في مواجهة رموز ينبغي أن تكون ثقافية مستنيرة إلا أنها ارتضت لنفسها أن تكون في خدمة الحاكم ، و بقدرما كانت الصعوبات تزداد بوجهها بقدر ما كانت نوال تجد بالتمرد و الثورة على الأوضاع السيئة متنفسها ،دخلت سجن النساء شاهدت الظروف القاسية التي تعانيها المرأة فازداد إصرارها على أن تحمل رسالتها بقوة و صبر ، لان المجتمع لم يجد في المرأة إلا ذلك الكائن الضعيف الذي سرعان ما ينكسر يتم تحميلها تبعات التخلف فصارت المرأة أساس تخلف المجتمع لكي ينجوا الذكر من المسائلة عما فعل و هو المسيطر على كل جوانب الحياة.

و كان لنوال من الشجاعة ما يدفعها لرفض الكثير من الممارسات التي اعتادها المجتمع بسبب أفكار بالية و أعراف تم تضليل المجتمع بها على أنها دينية ، فرفضت تعدد الزوجات و رأت فيه امتهان لكرامة المرأة و طالبت بمساواتها مع الرجل تم فصلها من عملها كما تم سجنها في محاولة لإسكات صوتها ، مثلما تم نفيها إلا أنها كانت تجد في كل فعل ذكوري ضدها فرصة لان تكتشف المزيد من جوانب القهر و الظلم الذي تتعرض له المرأة فلم تترك فرصة إلا و استغلتها للإعلان عن أرائها بشجاعة و قوة ، حيث تمت محاصرتها لإسكات صوتها فرفضت الصحف نشر مقالاتها والسعي لتجاهلها حتى قالت << و أعيش الغربة و المنفى داخل الوطن لكني لا زلت أكتب و ليس في العالم قوة تستطيع أن تسلب مني القلم >>[2].

و تعرضت للتهديد بالقتل و تم إدراج اسمها في قوائم الموت التي كانت تصدرها قوى الإسلام السياسي باعتبارها كافرة لا بد من قتلها و رغم ذلك فإن أصوات التهديد لم تكن تجعلها تخاف على حياتها فقط بل على رسالتها التي تخشى أن لا تتمكن من إكمالها ،كان شعورها بالاستقلالية و احترام الذات عالي و هو ما تجلى في مواقفها مع أزواجها أو مع مسؤوليها الإداريين مثلما كان مع أعلى سلطة في بلدها إذ تقول << حين أراد زوجي الأول أن يلغي وجودي ألغيت وجوده من حياتي و حين صاح زوجي الثاني أنا أو كتاباتي قلت كتاباتي و انفصلنا و حين انتفض وزير الصحة قال الطاعة أو الفصل قلت الفصل وفقدت منصبي و حين قال السادات الحرية ترفرف و العدالة و الرخاء

[1] – نوال السعداوي ، الوجه العاري للمرأة العربية ، مصدر سابق ، ص210.

[2] – نوال السعداوي ، مذكراتي في سجن النساء ، دار الآداب للنشر و التوزيع ،ط1،بيروت،لبنان،2000،ص8.

و السلام قلت أين الحرية؟ الناس في القيود و الرقابة كالسيف على الأفكار و العقول و أين العدالة أو الرخاء والفقراء يزدادون فقرا و الأغنياء يزدادون ثراء و يجمعون الملايين و صفقات السلاح تتضاعف>>[1].فكان عقابها السجن الذي لم يخرجها منه الا اغتيال أنور السادات.

إن إصرارها و شجاعتها جعلتها تتربع على عرش النسوية العربية لتكون أحد أكبر رموزها و أكثرهم جرأة و صراحة إذ كرست كل حياتها للدفاع عن حقوق الإنسان و المرأة خاصة و السعي لإنصافها و بقدر ما كانت الضغوط تزداد عليها بقدر ما كان العالم يترقب سماع صوتها و الاطلاع على إبداعها فاحتضنتها الملتقيات و المؤتمرات الدولية كما استقدمتها الجامعات العالمية للتدريس فيها و هو ما جعل صوتها يعلو في الكشف عن ما تلاقيه المرأة من ظلم واجحاف فكان ان توجتها مجلة تايم الأمريكية كواحدة من مائة امرأة مؤثرة في العالم.

لقد تركت السعداوي الأثر على اجيال من النساء ،فليس هناك نسوية عربية أو مهتمة بالفكر النسوي لم يأخدها فضولها للإطلاع على كتبها و أفكارها و من ثمة التأثر بها فالخط النسوي لنوال سار على نهجه الكثير من النسويات و الكاتبات العربيات سواء من حيث المقولات أو المضامين أو حتى عناوين كتبهم التي تتشابه مع عناوين كتبها .

فمثلا كتب المغربية فاطمة المرنيسي هي على نحو كتب نوال و هنا أخص بالذكر كتاب ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية حيث ركزت فيه على الجنس و الفروقات حوله بين التفكير الغربي من جهة و التفكير الإسلامي من جهة أخرى مشيدة بالدور الذي يلعبه الجنس في صياغة الكثير من المفاهيم الاجتماعية و النفسية خصوصا و من جهة ارتباطه بالسلوكيات التي تقوم بها النساء أيضا دور المرأة في الحياة الجنسية و تفسير كل ما تقوم به المرأة من أدوار بجانبه الجنسي و غريزتها الجنسية التي تعد معيار تصنيف المجتمعات مقدمة في ذلك العديد من الأمثلة على ذلك مثل ختان المرأة في بعض الدول مثل مصر و ذلك << باحترام الضوابط الجنسية في طريق تعميق شديد للموانع الجنسية خلال عملية التنشئة الاجتماعية >>[2] .

و لعل هذه الأمثلة قد عرضتها السعداوي قبلها خاصة في كتابها المرأة و الجنس و الرجل و الجنس.أيضا كما دعت المرنيسي من خلال مؤلفها الحريم السياسي إلى تحرر المرأة و مشاركتها الفعالة في الحياة الاجتماعية و السياسية ودحض << الآراء التي تؤدي إلى تكريس دونية المرأة في المجتمع الإسلامي التي لا تمت لحقيقة الإسلام بصلة>>[3].

[1] – المصدر نفسه ،ص12.

[2] – فاطمة المرنيسي ، ما وراء الحجاب الجنسي كهندسة اجتماعية ، مرجع سابق ، ص15.

[3] – فاطمة المرنيسي ، الحريم السياسي ، تر. عبد الهادي عباس ، دار الحصاد للنشر و التوزيع ، د ط،دمشق ،سوريا،د س ،ص05.

و هي الفكرة التي كانت قد دعت إليها السعداوي في مؤلفيها قضايا المرأة و الفكر و السياسة و كتاب قضية المرأة المصرية السياسية و الجنسية.

ب/ النقد:

لا شك أن لنوال السعداوي دورها الرائد في الكشف عن الكثير من المساوئ الاجتماعية و السياسية التي أدت إلى اضطهاد المرأة و التقليل من شأنها و ظلمها فهي فعلا الرائدة العربية و النسوية و المدافع الصلب عن المرأة العربية حيث استطاعت بأفكارها أن تثقف أجيالا متعددة من النساء و الرجال و أن تترك أثر لا يمكن محوه إلا أن الدور الريادي الذي يقوم به الفاعل الاجتماعي لا يعني أنه لم يقع في هفوات و ثغرات معرفية تستوجب الوقوف عندها و بيانها و هو ما يحتم علينا أن نوجه لها جملة من الانتقادات و الرد على ادعاءاتها التي لا تنسجم أبد مع ثقافتها الإسلامية وهي اذ تدعي أنها مسلمة لكن إسلامها لا يظهر في أطروحاتها و أفكارها تماما، حيث يرى منتقدوها أنها تدعي أن أدم لم يحمل تبعات الخروج من الجنة و بالتالي أن الله تحيز لأدم و حمل حواء مسؤولية الخطيئة في الخروج من الجنة.

الأمر الذي دفع بالدكتورة هبه رؤوف عزت* أن توجه لها نقدا لاذعا حيث تقول << لكن نوال لا تقرأ الواقع و التاريخ ولا تكلف نفسها مشتقة القراءة و المراجعة بل تكفيها الأساطير الفرعونية القديمة و التي تخلط بينها و بين الدين>>[1] .

و فعلا هناك العديد من الأدلة الشرعية التي تدحض مزاعم نوال في هذه النقطة و << هي لم يصل لها سوى أية واحدة من قصة أدم هي الآية 121-122 من سورة طه فتقول أن القرآن يعلن العفو عن أدم فقط لتحمل حواء وحدها ذنب الخروج من الجنة ولم يخبرها أحد أن القصص القرآني لا يؤخذ من أية واحدة>>[2].

لكن في سورة الأعراف الآية نجد الاثنان يعترفان بالاشتراك في الخطأ و طلبهما للمغفرة و هذا ما يظهر جليا في قوله تعالى << فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (22) قَالَا **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا** وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(23)>>[3].

* هبة رؤوف عزت: من مواليد 1965 مفكرة مصرية و ناشطة سياسية و محاضر زائر بالجامعة الأمريكية في القاهرة و كاتبة صحفية و استاذة العلوم السياسية في جامعة القاهرة.

[1] – نوال السعداوي و هبة رؤوف عزت، المرأة و الدين و الأخلاق ، دار الفكر للنشر ، ط1،دمشق ،سوريا،2000،ص254.

[2] – المصدر نفسه ، 254.

[3] – سورة الأعراف ، الآية (22-23) ،ص153.

تستغرب الدكتورة هبة رؤوف عزت من موقف نوال المعادي لرجال الدين و هم الذكور يجعلها تفقد التوازن العقلي في النظر إلى صورة الإله التي تعرضها و التي تعبر عن جهل فاضح دينيا و لغويا، إذ تتحدث عن صورة الإله الذكر و هي تعبر عن جهلها بأساسيات الدين الإسلامي الذي يصف ،الله في كل مواضعه بأنه لي كمثله شيء مثلما أن استخدم ضمير المذكر في الإشارة إلى الله في الإسلام يرتبط باللغة لا بالدين فالضمير المذكر هو الأصل في كل لغات الدنيا و من الممكن أن يكون ناتجا عن هيمنة ذكورية في ظهور اللغة ، و أن الخطاب الديني حين يتوجه لمستخدمي أي لغة لا بد أن يخاطبهم بأصول لغتهم ، فدعوة نوال المستمرة إلى ألهة أنثوية تجعلها تتساءل هل هي إلى جانب الدين أم ضده و إذا كانت مشكلتها مع الدين هي ذكورية الله ،فيجب عليها الا تنسى بان الالهة الانثى حين سادت عبادتها في مصر القديمة لم تستطع أن تمنع الكهنة الذين يعبدونها من استغلال عبادتها في تكريس مصالحهم و نشر العبودية[1]. في الجزيرة العربية و مكة تحديدا فلا بد أن نلاحظ أن الانتقال إلى تسمية الإله الذكر تم في مجتمع كان يعبد ألهة أنثى في الغالب و رغم هذا فلا أحد يمكنه أن يصدق بأن عبودية الإله الأنثى هذه قد أضفت العدالة و المساواة على المجتمع الذي يعبدها و في حدود التقابل بين الذكورة و الأنوثة فلابد أن نوال تعلم جيدا بأن الأنثى كانت أكثر اضطهادا في المجتمع المكي بشكل خاص ،و مجتمع الجزيرة العربية بشكل عام أم أنها تناست أن وأذ البنات كان السياسة المعتمدة في هذا المجتمع .كذلك ادعت نوال السعداوي بوقتية النص الديني و اعتبرته غير صالح لكل زمان ومكان فهو جاء في وقت معين ،وسابق و بالتالي لابد أن نغيره ، فمن منا لايذكر المناظرةالشهيرة التي جمعت الدكتور محمد عمارة بنوال السعداوي و هي من أقوى المناظرات التي شهدتها الساحة الفكرية العربية في تلك الفترة حيث انتقد نوال بشدة فيما يخص مطالبتها بالمساواة في الميراث و مسألة الشهادة و قولها بضرورة إعادة النظر فيها و هذا ما فصله في كتابه شبهات حول الاسلام اذ بين ان الاسلام فصل في الثوابت التي لا تتغير و ترك أحكام المعاملات لأهل الفقه لان الشريعة هي<< وضع إلهي ثابت تحفظ إسلامية و إلهية المرجعية و المصدر دائما و أبدا بينما وكلت أمر المتغيرات إلى الفقه المتجدد المتطور – و الفقه هو علم الفروع ...هذه الصيغة الإسلامية هي التي وازنت بين ثبات النص و تطور التفسير البشري للنص الإلهي الثابت >>[2].

ومما لا شك فيه أن الإسلام جاء إلى الناس كافة حسب التعبير القرآني ، و هذا استلزم النظر إلى الفوارق و المتغيرات بين هؤلاء الناس بالإضافة إلى كونه خاتم الأديان مما ،يشترط مرونته للمتغيرات المستقبلية فالشريعة ثابتة كونها إلهية ولكن التفصيلات المتعلقة بالشريعة و المتغيرات المستقبلية التزم بها الفقه و هذا فهم إنساني قابل للتغيير و لكن ضمن الإطار العام المتمثل بالشريعة كذلك، يرى الدكتور محمد قطب و هو من المعارضين لفكر نوال أيضا حيث وضح في

[1] – نوال السعداوي و هبة رؤوف عزت ، المرأة الدين والأخلاق ، مصدر سابق ،ص(356-357).

[2] – محمد عمارة ، شبهات حول الإسلام ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ،د ط،القاهرة،مصر ،2002،ص20.

كتابه المغالطات ان<< الله سبحانه و تعالى منزل هذا الدين و يعلم علم اليقين أن حياة الإنسان تتغير باستمرار عن طريق أدوات التغيير التي وهبها الله للإنسان >>[1] .

أما فيما يتعلق بقولها أن الإسلام ظلم المرأة في مسالة الميراث فإن الدكتور عمارة يرد عليها << أن الأنثى في الإسلام لا ترث نصف الذكر دائما و أبدا (...)و القرآن لم يعد يوصيكم الله في الوارثين للذكر مثل حظ الأنثيين (...)وإنما جعل ذلك في حالة يعينها هي حالة الأولاد و ليس في مطلق وكل الوارثين >>[2].

و بالعودة إلى النص القرآني نجد قوله تعالى << يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ>>[3]

<<أما عندما كان التقعيد عاما للميراث فإن القرآن قد استخدم لفظا عاما هو لفظ النصيب لكل من الذكور والإناث على حد سواء>>[4] و هذا ما ورد ذكره في سورة النساء << لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا >>[5].

فتقسيم الإرث في الإسلام لا يستند إلى معيار الذكورة و الأنوثة كما تزعم السعداوي و إنما يعتمد على معايير أخرى منها درجة قرابة الوارث من الموروث و هناك في علم الفرائض حالات ترث المرأة أكبر من الرجل و تكون متساوية معه في أخرى و تكون المراة أكبر من الرجل و تكون متساوية معه في أخرى و يكون الرجل أكبر من المرأة في حالات أخرى، و هذا يرتبط بمجمل النظام الإسلامي ولا ينبغي أخذه كجزئية فالإسلام كما نعرف جعل القيمومة (القوامة) للرجل و التي تعني إلزام الرجل بالقيام بمسؤوليات أكبر تجاه المرأة فيما يتعلق بالجانب المادي و إعفاء المرأة من هذه الأعباء فقد وضع فارقا ينسجم مع هذه المسؤوليات على الرجل و هي ليست ميزة له عليها.

أما بخصوص أن الإسلام جعل شهادة الرجل مقابلة لشهادة امرأتين فهذا ليس دائما إنما فقط في << الأمور والميادين التي تقل فيها خبرة المرأة عن الرجل تكون شهادتها أقل من شهادته ، و حتى لا تهدر شهادتها كلية في هذه الميادين سمح القران بشهدتها على ان تدعم بشهادة واحدة من بنات جنسها تذكرها بما تنساه من وقائع الشهادة أما الميادين التي تختص بالمرأة و التي تكون خبرتها فيها أكثر ، فإن شهادتها فيها تكون أعلى >>.[6]

و هنا النص القرآني لم يستهدف التقليل من شأن المرأة حين طلب أن تكون امرأتان مقابل رجل حيث كان واضحا بأن السبب هو التذكير ، إذن فالنص لم يشر إلى نقص ما في المرأة بصريح الكتاب و من هنا يمكن تكذيب ادعاء

[1] – محمد قطب ، المغالطات ، دار الشروق للنشر ، ط1، القاهرة ، مصر ، 2006،ص37.

[2] – محمد عمارة،شبهات حول الاسلام،مرجع سابق،ص31.

[3] – سورة النساء ، الآية 11،ص78.

[4] – محمد عمارة شبهات حول الإسلام ، مرجع سابق ،21.

[5] – سورة النساء ، الآية 07،ص78.

[6] – محمد عمارة ، شبهات حول الإسلام ، مرجع سابق ،ص23.

نوال و من المغالطات التي تقع فيها السعداوي أيضا قولها بتغير أحكام الشريعة من دولة إلى دولة و هي تقصد هنا تغير الدين الواحد من دولة إلى دولة و هذا مرفوض لأن الدين لم ولن يتغير فهو محفوظ بعناية الله مصداقا لقوله تعالى<< إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ>>[1].

و عليه يكون هذا الاختلاف راجع << بصفة عامة إلى إتباع مذهب ديني من المذاهب المعتمدة عند المسلمين و كون تلك المذاهب مختلفة في فروع الأحكام فإنها جميعا متفقة على الاتحاد في الأصول المستمدة من القرآن و السنة و هو أمر يوافق كافة القوانين الوضعية>>[2].

لم تتوقف نوال عند هذا الحد من التطاول على الدين بل تحاول الاستهانة بدور المرأة كزوجة و أم و معنى ذلك أنها تسيء إلى مهمة أساسية للمرأة تتمثل في وظيفتها التربوية التي كلفها بها الدين و هو تكريم لها كونها تعد الأساس في بناء الأجيال المستقبلية التي تعول عليها الأوطان لكن نوال و بعض دعاة تحرير المرأة في الفكر الحديث يسعون إلى << إثبات أن الوظيفة الأساسية للمرأة ليست البيت كزوجة و أم و مربية أجيال و هدفهم من ذلك اعتبار أن الوظيفة الأساسية لها هي العمل خارج البيت>>[3].

و لكن في مقابل ماذا؟ أن تخرج المرأة للعمل و بغض النظر عن طبيعة المجتمع الشرقي في نظرته الشهوانية للمرأة فهل حققت نظيرتها المرأة الغربية طموحاتها بالعمل ؟ و هل استطاعت فعلا أن تتحرر من أسلوب الاضطهاد و الاستغلال لها ؟ و إذا كانت المرأة في الغرب خرجت للعمل فهذا يرتبط بجملة التشريعات الغربية التي لا تعطي حقوقا إضافية للمرأة على عاتق الرجل فإذا ما علمنا بأن التربية هي المهمة الرئيسية للمرأة في التشريع الإسلامي و أن واجب الرجل تجاهها هو القيام بكل ما يتعلق بتوفير الظروف المواتية لها لتحقيق هذه الوظيفة بل أن الدين لم يلزمها حتى بالرضاعة بل جعل لها حقوقا بذمة الرجل مقابل هذا و هذا يدل، على المكانة السامية التي تحظى بها المرأة في ظل الإسلام.

لكن الغريب في الأمر كذلك أن نوال تواصل الخلط المتعمد بين الفهم الإسلامي النقي و العقلاني للدين و بين استغلال و إساءة المحسوبين على الدين ، فإذا كان الجهل الاجتماعي للدين قد أدى الى ظلم المرأة و امتهانها واستغلالها فإن العلاج لا يكون بالغاء الدين بل التثقيف بحقيقة الدين و مواقفه و الوعي المجتمعي الذي يحصن من الوقوع تحت استغلال المحسوبين على الدين .

ولعل من علامات هذا الخلط عقد الزواج الذي اعتبرته عقد تمليك المرأة للرجل لكن عقد الزواج ليس له قيمة إلا بقدر ما يحفظ حقوق المرأة تحديدا خلاف مثله مثل أي تعاقد يحفظ الحقوق فما علاقته بعقد التمليك؟

---

[1] – سورة الحجر ، الآية 09ص262.

[2] – زكي علي السيد أبو غضة، عمل المرأة بين الأديان و القوانين و دعاة التحرر ، دار الوفاء للطباعة و النشر ، ط1، القاهرة،مصر،2007،ص503

[3] – المرجع نفسه، ص460.

و هل كان عقدها على زوجها جعلها مملوكة له؟ و إذا كان جهل نوال أو الجهل الاجتماعي بشرائط الزواج أدى إلى ما تتعرض له المرأة من إساءة و اهانة عند البعض فما علاقة الدين بهذا؟

كما أنها تقر بضرورة رفع القهر عن المرأة و ذلك من خلال << رفع عليها ذلك الغرض بأن دورها في الحياة هو دورها كزوجة و أم فقط>>[1].

إن نوال تحاول دائما أن تجعل من نفسها الداعية لتحكيم العقل و الدفاع عن الحقوق التي تخالف مبادئها هذه حين تتجنى على الدين من خلال مسالك المحسوبين عليه ولا أدري هل كانت ترى بأبيها الذي كثيرا ما كانت تشيد به مالكا لأمها أم أن زواجها كان بغير عقد؟. لم تكتفي نوال السعداوي بمعارضة تعدد الزوجات بل تمادت و طالبت بتعدد الأزواج أيضا مثلا في حالة ما إذا كان الزوج عقيم مثلا ألا يحق أن تتزوج بآخر كما يفعل الرجل في الإسلام ؟

لكنها تجهل أن << الإسلام نظم تعدد الزوجات كضرورة قد تلجأ إليها الحكومات و المجتمعات و الأفراد في ظروف خاصة لا كفضيلة يجب التمسك بها فالإسلام أباح التعدد ولم يدعي إليه و لو أن الضرورات لا تبيح المحظورات لنهى عنه و حرمه >>[2].

لان تعدد الأزواج في الإسلام يرتبط بإشتراطات ثقيلة تجعله يقترب من المستحيل و نوال بحكم كونها طبيبة هي أعلم بأن هناك الكثير من المواضع التي يمكن أن تدفع الرجل للزواج بامرأة أخرى و هي مواضع طبية أو وفسيولوجية غالبا و أحيانا نفسية فيكون الزوج أمام أمرين إما تطليق زوجته أو المحافظة عليها و رعايتها مع إشباع حاجاته من امرأة أخرى و عليه يكون التعدد في الإسلام ليس نظاما ملزما ثم أن تجربة الأنظمة و الدول التي اعتمدت منع التعدد واضحة أمامنا ، فالعشيقة و الخليلة لتي يتخذها الرجل الغربي مثلا لا تملك حقوقا على عشيقها بل أنها ليس أكثر من وعاء لإشباع حاجاته الجنسية ، بينما تعدد الزوجات ينسجم مع النظام الأخلاقي الإسلامي الذي يحرم الزنا مما يتطلب وضع بديل كريم للمرأة يمكنها به إشباع حاجاتها الجنسية و العاطفية في مجتمع يعاني من العنوسة مثلا .

و مع ذلك فإن اشتراط العدالة بمعناها الأوسع يجعل تعدد الزوجات ليس إلا حلا و ليس سياقا ثابتا مثلما أن المرأة ليست ملزمة بقبول الزواج برجل لديه زوجته و قبولها بالوضع هو جزء من حريتها الشخصية مثلما يكون قبولها بالزنا في الأنظمة الأخرى جزء من هذه الحرية.

و على حد تعبير الدكتور سيد حسين العفاني، نوال حتى في الجنة تريدها حربا و ترى أن المرأة محرومة من المتعة الأخروية أي التمتع مع الغلمان مثل ما يتمتع الرجل مع الحوريات لأنها تؤكد << أن الغلمان في الجنة لم يخلقهم الله للنساء بل للرجال ، لأن بعض الرجال يفضلون الغلمان على الحوريات العذراوات هكذا تصبح الجنة أرض الطيبين

[1] – المرجع نقسه، ص454.

[2] – زكي علي السيد أوغضة ، المرأة في اليهودية و المسيحية و الإسلام ، دار الوفاء للنشر ، ط1،القاهرة، مصر ،2003،ص309

أرضا للواط كما تتصورها نوال السعداوي و هؤلاء المخرفون و لا يستطيع من له أدنى إلمامة بالعلوم الشرعية أن ينطق بمثل هذا>>[1].

و هذا ما يثبت أن نوال السعداوي حين يصعب عليها أن تجد مطعنا بالدين تلوذ ببعض الأوهام الاجتماعية التي يروج لها الذكور أكثر منها في الدين نفسه و إلا من أخبرها بأن التعامل مع المرأة في الجنة بهذا المستوى من عدم الإنصاف ؟ و من أخبرها بما في الجنة من امتيازات ذكورية تحرم المرأة منها ؟ ، و إذا كانت بعض الآيات تشير إلى النساء و الغلمان و هي تقريبة لفهم القارئ.

فيما يصعب تصوره عنده إضافة الى ذلك لا بد أن نشير إلى أن التوصيفات المغرية بالجنس للرجال في الجنة يمكن أن تكون مواضع ترغيب الرجال بمتعة مؤجلة أكبر من متعة أنية مما يدفعهم لبذل الجهد في تجنب ما يحرمهم من تلك المنع عن طريق ارتكاب المعاصي.

فباسم الحرية و التحرر تعتقد نوال السعداوي أنه لابد أن تتخلى عن مقاييس الشرف و العفة التي فرضت على المرأة دون الرجل و هي لا تعلم أن الله فرض العفة و الشرف على الاثنين و هذا ما يظهر في قوله تعالى << قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ>>[2].

و مع ذلك نوال ترى أن العذرية ليس مقياس لشرف المرأة و قد فصلت في ذلك فيما قمنا بعرضه سابقا مع التساؤلات التي تطرحها الأمر الذي دفع بالدكتور زكي علي السيد أبو غضة في كتابه الحجاب و الختان و العفة بين الأديان و القوانين و دعاة التحرر أن يرد عنها قائلا << ليس دم العذرية هو مقياس الشرف في الحالات التي ذكرتها الدكتورة نوال فالغشاء المطاط أو الولادة بدون غشاء أمر يمكن لطبيب عادل أن يوضحه و الفتاة تعتبر رغم عدم نزول الدم عذراء و كل المجتمع يعلم هذه الحالات الخاصة ، أما بالنسبة للمسؤولية عن السلوك الجنسي فإن الرجل و المرأة يتساويان فيها أمام الله فإن زنيا برضى نالا بالعقاب بالتساوي و هو الرجم أو الجلد حسب الأحوال أما في حالة الاغتصاب فإن الرجل هو الذي يجلد و ليست المرأة >>[3].

[1] – سيد بن حسين العفاني ، أعلام و أقزام في ميزان الإسلام ، ج1،دار ماجد عيري للنشر و التوزيع ، د ط، السعودية ، د س ، ص،453.

[2] – سورة النور ، الآية 30،ص354.

[3] – زكي علي السيد ، الحجاب و الختان و العفة بين الأديان و القوانين و دعاة التحرر، دار الوفاء للطباعة و النشر ، ط1،القاهرة ،مصر 2002،ص(236-237).

وليس معناه أن الله عندما ولد الرجل دون غشاء أن الرجل شريف ولا يمكن أن نحاسبه على سلوكه الجنسي بل العكس من ذلك القرآن أمر كل من الرجل و المرأة بصيانة شرفهم فأوجب أن تكون العلاقات الجنسية محدودة في دائرة الزواج و فقط.

ككل مرة تحاول نوال إثارة الجدل بأفكارها التي لا تمت بأي صلة للإسلام فهي واثقة أن الحجاب ضد الدين والأخلاق و بالتالي دعوتها بصورة علنية عن السفور عن الحجاب و نسيت أن الله نهانا عن التبرج و أمرنا بالستر حيث رفعت شعار رفع الحجاب من العقل في جمعيتها تضامن المرأة العربية الأمر الذي جعلها تكون محط اتهام بأنها تتلقى أموال من دول أجنبية تحت غطاء جمعيتها و <<كثير من هذه التجمعات النسوية في مصر أنفضح أمرها في غمرة جهادها التحرري و انكشفت أبعاد دورها عندما كشف النقاب عن (إنفاق الدولارات) الذي ينساب في جيوب المستفيدات من زعماء تحرير المرأة على النحو الذي تكشف فيه فضيحة نوال السعداوي و تلقيها أموالا سرية من مؤسسة فور فونديشن الأمريكية و غيرها من المؤسسات الانجليزية و الهولندية>>.[1]

و مما لا شك فيه أن عداء نوال السعداوي للدين ليس له حدود حيث و صل بها الأمر الى القول أن الدين هو صناعة إنسانية و منتج تاريخي فالدين الغربي على وجه الخصوص قد تعرض للعديد من التفسيرات و التأويلات الإنسانية التي تخدم نظريات معينة دون أن تعبر عن حقيقة الدين مهما كان نوعه و من ثم المشكلة ليست في الدين في حد ذاته بل في الفهم المقدم حوله و هذا الفهم خاضع للتفسير الإنساني عبر التاريخ دون الوقوف على معنى الدين الحقيقي أما فكرة الحديث عن الجانب الايجابي في الدين من زاوية التفسيرات الإنسانية فإنه يحمل العديد من التناقضات فهي ترى في الدين وحده مخلص البشرية من شرورها و أثامها و تحقيق العدل المنشود في العالم و من جهة أخرى تعيب على الدين تحقيق ذلك بمعنى يصبح الدين ظاهرة سلبية لأنه فقد صفة القداسة تاريخيا و هذا خطأ كبير وقعت فيه السعداوي لان الدين كوحي منزل لا يمكن اعتباره من فعل البشر بمعنى يبقى حاملا لصفة القداسة و المطلقية و من ثم يكون مصدرا صحيحا كاملا [2].

كما أنها تسعى لتبيان كيف أن السياسة طغت على الدين و أن رجال الدين كانوا السبب المباشر لهذه الصورة المشوهة للأديان حينما تعلقت مصالحهم الذاتية بمصالح السلطات السياسية و من جانب أخر نلاحظ أنها تعرض صورا مشرقة للدين بما يحمل من عدل و حق و مساواة مثلما أنها تدعو الفرد لأن يستخدم عقله في الإيمان بالدين و يبتعد عن التقليد الذي يستمده الفرد من عائلته لأن حسابه أمام الله يعتمد على مدى استخدامه لعقله في فهم

[1] – سيد بن حسين الغفاني ، أعلام و أقزام في ميزان الإسلام ، مرجع سابق ،ص444.

[2] – نوال السعداوي و هبة رؤوف عزت ، المرأة الدين و الأخلاق ، مرجع سابق ،ص(250-251).

دينه إلا أن الغريب أن نوال تنسى هذا و تنساق وراء هجومها على الدين ذاته الذي سبق و أن أظهرت صورا مشرقة له و هو ما يدل على فقدانها التوازن في النظر للأمور.

فالمقدمات التي تضعها لا يختلف أحد معها فيها و لكنها ،تخرج عن إطار العقل الذي تدعو الآخر لتفعيله في فهم دينه و تتناقض مع دعواتها حين تحمل الدين مسؤولية فهم بعض رجاله المرتبط بالمصالح و الغايات الذاتية .

لكن<< لم تكن الأديان أبدا في خدمة الأنظمة السياسية ،و لكن الصحيح أن القوى السياسية تحاول جاهدة إذا كانت علمانية أن تضغط على رجال الدين و علمائه لتفسير و تأويل بعض الأحكام لصالح أغراضهم الخاصة >>[1].

لذلك فإن القارئ لنوال يلاحظ بسرعة كمية الغضب، و الحقد الذي تحمله تجاه البعض من رجال الدين الذين تعاضدوا مع السلطات السياسية و دعمهم و الترويج لأفكار لا تنسجم مع التطور الحضاري و السياسي و الاجتماعي في ظل تلك الأنظمة العبودية و هو أمر لا غبار عليه، و لكن ما يعاب على نوال أنها تتخذ من هذا السلوك لرجال الدين أساسا لنقد الدين و تتناسى النقاء الذي يحمله الدين و كيف زيفه المحسوبون عليه بسبب مصالحهم و مع ذلك نوال تطالب بفصل الدين عن الدولة أي فصله عن الشؤون السياسية و تخلق الجدل حول قضايا الدين و السياسة وترفض انخراط الدين في السياسة و هذا غير جائز لأن << إقصاء الدين عن السياسة هو انتهاك لكلمة الرب>>[2] .كما أقر فرانك لامبرت و نحن نعرف جميعا ما أصاب أوروبا من ويلات بحربين عالميتين أدت إلى عشرات الملايين من القتلى و مئات الجرحى و المعاقين و جميع المشاركين فيها دول تدعي العلمانية فهل نحاسب العلمانية بمساوئ ارتكبها مدعيها؟

ثانيا : واقع الحركة النسوية في الوطن العربي:

على الرغم من الأثر الايجابي الذي تولد من الاحتكاك بالغرب من شعور المرأة العربية بما تمتاز به المرأة الغربية من حقوق و امتيازات دفعت بها إلى محاكاتها ، إلا أن الحركة النسوية المتولدة على الرغم من تطورها و إثرائها بنشاطات على مستوى عالي من الكفاءة لم تستطع التخلص من عقدة المحاكاة و الوصول إلى تنضيج صورة خاصة بها تأخذ بنظر الاعتبار الخصوصية الثقافية و الفكرية و الاجتماعية لها فالمرأة الغربية انطلقت من ظروفها و خصوصياتها.

[1] – زكي علي السيد : عمل المرأة بين الأديان و دعاة التحرر ، مرجع سابق ، ص431.

[2] – فرانك لامبرت الدين في السياسة الأمريكية تاريخ موجز ، تر: عبد اللطيف موسى، دار نمو للنشر ،د ط، السعودية ،2015،ص30.

و تجاربها في واقعها لبناء فهمها و هي لا تعكس بالضرورة التجربة الحقيقية للمرأة العربية و بالتالي فقد وقعت النسوية العربية في مطلب عدم التصالح و التوافق مع البيئة التي ظهرت فيها بحيث << ارتبط تحرير المرأة في الشرق الأوسط بالتغريب>>[1].مما جعلها تواجه معوقات كثيره.

أعاق قدرتها على التصالح مع مجتمعها و منعها من تمثيل الطيف الواسع من النساء العربيات أو كسبهن إلى صفوفها نتيجة الاختلاف في الرؤى و التصورات إلى، الحقوق و الواجبات التي ينبغي أن تكون مطالب متشركة فالمرأة في المجتمعات العربية تملك ارثها الثقافي و الأخلاقي الذي غالبا ما يمنعها أن تكون مجرد مقلدة للمرأة الغربية بل أن الأولويات المطروحة على مستوى العالم العربي لا تتشابه مع مثيلتها في البلدان الغربية نتيجة فارق التطور الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي و العمراني[2].

أعاق قدرتها على التصالح مع الدين و هو ما ولد ردود أفعال دينية تجاهها لاسيما و أن بعض من الممارسات أو بعض التثقيف النسوي لهذه الحركة كان يمت إلى ما يعد مخالفة للأسس الدينية للمرأة في المجتمع فالحركات النسوية العربية مثلا في موقفها تجاه الدين كان يجب أن يكون مختلفا عن موقف الحركات النسوية الغربية ،إ ذاكان من المفترض أن يتم وضع الفاصلة بين الأديان (الدين الإسلامي خاصة في مجتمعنا العربي) بصفتها حاجة روحية إنسانية و ما تحمله من ثقافة و بين الحركات السياسية الدينية (الإسلامية) و ما تقدمه هذه الحركات هو فهمها الخاص للدين و ليس بالضرورة تعاليم الدين و تشريعاته مما يستوجب عليها البحث في الجوانب المضيئة للممارسات التي تمت في الإسلام خاصة في عهد النبي محمد صلى الله عليه و سلم ، و الذي يمكن من خلاله الفرز بين حقيقة الدين و التوظيفات السياسية له.

أظهرت الحركة النسوية في جوانب من فعاليتها و كأنها ترفض الهيمنة الذكورية لصالح هيمنة أنثوية ، فموقف بعض الحركات النسوية العربية كان متطرف جدا إلى حد رفض الذكر و تحويل الصراع الاجتماعي بين النساء و الرجال من موقعه كصراع بين الرؤى و التصورات إلى الحد الذي جعل المسألة في إطار الضدية المستعصية بين الرجال و النساء و هو ما دفع إلى تطرف مقابل الحقيقة المشروعة للمرأة و وضعها في خانة الاتهام بالعدائية و هو ما أدى إلى تكريسها << من خلال النظام الاقتصادي الطبقي الذي يسود في العالم العربي و يخضع المرأة أساسا دون الرجل للقهر الاقتصادي >>[3]، فالفصل بين النساء و الرجال الذي يعد هدفا تسعى الحركة النسوية العربية لهدمه يعود ثانيه و لكن من موقع الهيمنة الأنثوية.

---

[1] – أميرة الأزهري سنبل ، النساء و الأسرة و قوانين الطلاق في التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق، ص16.

[2] – اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية لغربي آسيا،الحركات النسائية في العالم العربي ، هيئة الأمم المتحدة،2005،ص122.

[3] – عبد الله النفسي ، العمل النسائي في الخليج الواقع و المرتجى ، شركة الريعان للنشر و التوزيع ،ط1،الكويت،1983،ص14.

عدم قدرة الحركات النسوية العربية على تنضيج رؤية قادرة على الموازنة بين إستقلاليتها عن الأنظمة السياسية التي تعيش في ظلها و بين قدرتها على الحركة و النشاط لصالح أهدافها مما انتهى بالكثير منها إلى القطيعة و العدائية التي حجبت عنها إمكانية استثمار تعاطف بعض القوى معها و إمكانية توسيع رقعة استحصال الحقوق لصالح تحقيق مطالبها و هذا ما أدى إلى اصطدامها بعائقين:

الأول متمثل في فقدان التعاطف و الدعم الحكومي لبرامجها و أهدافها و إعطاء المبرر للقوى ذات النزعة الذكورية للوقوف ضد أي مكاسب تسعى إلى تحقيقها ، فضلا عن محاولة حجب ما حققته ، و الثاني مرتبط بفقدان القدرة على استمرار و ديمومة العمل مما دفع ببعض ناشطات هذه الحركات إلى الاستنجاد بدعم من قوى خارجية أو حتى داخلية مشكوك بأهدافها و هو ما انعكس سلبا على صورتها الاجتماعية و اتهامها بتحقيق أهداف لا ترتبط بالقضايا الوطنية و اتهامها بالعمل لصالح القوى الداعمة و المساندة لها.

أيضا عدم قدرة الحركة النسوية العربية على صياغة مفهوم واضح و محدد للحرية التي تطالب بها مما انعكس سلبا على سلوك و ممارسات بعض ناشطاتها مما أظهر الحركة و كأنها تدعو للخروج عن القيم و الأخلاق الاجتماعية و لا شك أن تباهي بعض الناشطات بممارسة الجنس أو غيرها باعتناق المثلية الجنسية له الأثر في العزوف عنها و التشكيك بحقيقة مطالبها فعلى الرغم من أهمية الجنسانية و السعي لفهمها بالشكل العلمي السليم و أهمية ذلك بالتنمية إلا أن تلك الممارسات أوحت برسائل سيئة إلى المجتمع ليربط بين الجنسانية و الانحلال الأخلاقي مما فسح المجال للحركات الدينية السياسية أن تجد في ذلك ذريعة لمحاربتها و إحراج الحكومات بعدم تشجيعها و دعمها و خير مثال عن ذلك هو تصريح الناشطة السورية دارين حليمة عبر حسابها فايس بوك و الذي أثار غضب ردود رواد مواقع التواصل الاجتماعي حيث أقرت أنها مارست الجنس خارج مؤسسة الزواج.بقولها هذا << أنا مارست الجنس نعم مارست الجنس مع رجل صاحب فكر و جسد جميل و لم أشعر بالعار بل بالقوة و الاستحقاق و حسن الاختيار لم أغرم به بعد و قد لا أغرم لكن انجذاب عالي كبير، و تابعت دارين منشورها الذي تسبب في هجوم واسع عليها إذا لم أغرم سأخبره و أبحث و أنتظر رجلا أخر و لا أشعر بأنني قد أعطيته شيء و يجب أن يقدره أنا أعطيت نفسي حق جميل مع شخص أدرك تماما كيف ينظر لجسدي و فكري المهم أنني أعلم ما أريد>>[1].

وعليه فإن انحراف المطالبة بحقوق النساء بأسلوب جريء، << يعرض فئة من الناشطات ممن يناصرون الفكر التحرري إلى العزلة داخل المجتمع لما يسبب مطلب الحرية من صدمة و مواجهة ضد الدين و العادات >>[2].

[1] – عن موقع www.watanserb.comبتاريخ 2020/08/27 على الساعة23h04min.

[2] – حنين البرازي ، الحركة النسوية المصرية بين الموروث الثقافي و النشاط السياسي، مجلة إنسانيات ،العدد 74،مصر ، 2016، ص24.

إضافة إلى عجز الحركة النسوية العربية على صياغة مفاهيم ترتبط بحقوقها المستمدة من مورثها الثقافي و الديني و هو ما جعلها غير مرحب بها في المجتمع و من جهة أخرى تقاطعها مع ناشطات أخريات مما فتت وحدتها.

عدم قدرتها على الانسجام و التناغم بين أعضائها و عدم قدرتها على وضع آليات محددة لإدارة شؤونها مما انتهى بها إلى تسلط قوى نافذة بحكم ظروف خاصة مثلا الطبقة الاجتماعية أو المستوى العلمي أو الشعور بتضخم الذات أو غيرها و تسخير بعض الحركات لصالحهن فالملاحظ أن الكثير من الحركات العربية تفتقد إلى الآلية الديمقراطية في انتخاب هيئاتها الإدارية أو في صنع القرار و امتياز بعضها بالنخبوية التي تجعلها تشعر بالتعالي مما يحيل دون اشتراك جمهور النساء في وضع الخطط و البرامج و بدون تداول المسؤوليات على أسس ديمقراطية تتسم بالشفافية.

لم تستطيع الحركات النسوية في الوطن العربي وضع صورة متسقة لمفهوم المساواة بين المرأة و الرجل مما أوقعها بمطالب تتناقض مع هذه الدعوى ، فعلى الرغم من أحقيتها في دعوتها إلا أنها أغفلت جوانب يصعب الاستمرار بالمساواة فيها ضمن الظروف المحيطة بها .

فمشروعية مطالبها بإتاحة الفرصة للمرأة للعمل خارج البيت مثلا و اعتبار العمل داخله ثقلا إضافيا عليها ينبغي إلغائه إلا أنها من جانب أخر تطالب بامتيازات إضافية للمرأة لا يتمتع بها الرجل كالأمومة و مشاكل متعلقة بعدم المساواة البيولوجية[1].

عدم قدرتها على صياغة مفهوم واضح لاستقلالية المرأة فتبدوا دعوتها للتحرر الفكري و كأنها مسعى للاسترجال من قبل المرأة و هو ما يتعارض مع مفهوم الأسرة الذي من أهم أسسها التعاطف و الود و التساوي الإنساني مع الاحتفاظ بالخصوصية البيولوجية ، مثلما يدفع إلى حالة من العداء بين دعوات هذه الحركات و بين الذكور الذين يجدون في مثل هذه الدعوات مسعى لهدم المؤسسة الأسرية.

فشلها في تقييم منجر للحركات النسوية العالمية الكبرى و الإفادة من أخطائها و الانعكاسات السلبية لبعض أفكارها على مجتمعنا العربي فالعلاقات الأسرية السليمة تولد مجتمعا سليما على خلاف مظاهر التفكك الأسري الذي بات يشكل معضلة اجتماعية يتم الدفع إلى إغفالها و هو ما يحتم على الناشطات العربيات اخده بعين الاعتبار و إعادة صياغة مفاهيمها تجاهه.

و لعل أكبر تحدي لا يزال يعترض الحركة النسوية في الوطن العربي هو عدم تقبل بعض النساء لأطروحات الحركة النسوية و من يدافع عن حقوقهن و ما يزيد الأمر صعوبة هو انتشار هذه الحركات في دول دون أخرى.

ثالثا : الآفاق المستقبلية للحركة النسوية العربية :

[1] – اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية لغربي أسيا، الحركات النسائية في العالم العربي ، مرجع سابق ،ص117.

ليس من السهل الحديث عن آفاق مستقبلية للحركة النسوية في الوطن العربي ، طالما أن المجتمع يسخر كل آلياته و هياكله للقضاء عليها ،لكن هذه التحديات أو الصعوبات كانت نقطة تحول و انطلاق نحو التغيير.

حيث حققت الحركة النسوية تقدما كبيرا من خلال نشاطها النسوي في العالم العربي و على الرغم من الاختلاف في مستوى الانجاز بين دولة عربية و أخرى إلا أنها بالمحطة النهائية دفعت إلى إعادة النظر إلى المرأة بوصفها جزء فاعل في حركة التنمية و في الفعاليات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية ، فقد دخلت المرأة إلى الميدان السياسي بقوة فشغلت منصب نائب في البرلمان ووزيرة مثلما تقلدت مناصب إدارية مختلفة.

و ما لا يختلف عنه اثنان هو أن ازدهار التعليم و تطور الوعي النسوي من المتوقع أن يساهم في الشعور الذاتي للمرأة بكيانها بصفتها كائن لا يختلف عن الرجل في ما تملكه من قدرات مما يساهم في تخفيف حالة التشيؤ المفروضة على المرأة و هي الحالة التي نجدها تشيع في حياتنا العربية ففي الاقتصاد و في الصحافة النسوية نلاحظ ذلك الاهتمام الذي يكرس النظرة الشيئية للمرأة و يجعلها مساهمة به لأننا إذا نظرنا إلى أسواقنا نلاحظ كثرة المحلات التي تبيع الكماليات النسائية على المحلات التي تبيع الضروريات العلمية و الفنية و الغذائية ، مما يحتم على الحركات النسائية العمل على تغيير هذه النظرة الاقتصادية ، لأن <<هذا الاقتصاد يوقع المرأة فريسة لتناقض أخر يجعلها السلعة المستهلكةو المستغلة>>.[1]

أيضا تتعزز الحركات النسوية في العالم العربي من خلال الانتشار الواسع للتعليم و الذي من المتوقع أن يساهم في ازدياد نسبة النساء المتعلمات بحكم النمو السكاني ، في تتفاعل المرأة مع طموحات أقرانها من النساء في مختلف البلاد العربية فالمتوقع هو زيادة نسبة النساء اللواتي يكملن تعليمهن و صولا إلى التعليم الجامعي أو إلى الدراسات العليا مما يزود الحركة النسوية بطاقات علمية قادرة على أن تأخذ، مكانها إلى جانب الرجل و بالتالي زيادة فرص النساء القيادية نتيجة ارتقائها و تطورها العلمي مما يساعد على تحقيق انفتاح اجتماعي .

كذلك أفرزت التطورات نساء لهن دورهن في الحركة الاقتصادية فصرن نساء أعمال حققن نجاحات كبيرة الأمر الذي أدى إلى زيادة فاعلية المرأة داخل المجتمع مما أدى إلى تغيير النظرة الاجتماعية لها.

إضافة إلى هذا استطاعت المرأة بفضل الحركة النسوية تحقيق مكاسب كبرى في بعض البلدان العربية حيث تمكنت أن تحدث تغييرات دستورية و قانونية ترسخ بها مكاسبها ، فقد استطاعت أن تفرض المساواة في الحقوق مع الرجل سواء بالأجور أو بالوظيفة مثلما تمكنت من تعديل قوانين الأحوال الشخصية في عدة بلدان و كذا الحقوق العائلية كالميراث و الأمومة ، مثلما حققت انجازات في مجال الحد من العنف المنزلي.

[1] – خالدة سعيد ، المرأة التحرر الإبداع ، دار الفنك للنشر ، د ط ، المغرب ،1991،ص77.

استطاع النشاط النسوي العربي الاستفادة من التشريعات الدولية التي صدرت بخصوص المرأة و الضغط على الحكومات بغرض التوقيع عليها و تبنيها مما وفر الغطاء الشرعي، و القانوني الرسمي لمطالبها لقد أصبحت حرية المرأة حقيقة واقعة في الكثير من البلدان العربية رغم التباين في مستوى هذه الحرية بين الدول إلا أن الملاحظ أن هناك تسارع في تحقيق هذا الهدف الذي استطاع أن يخترق، اشد البلدان العربية تخلفا. حيث بدأت المرأة بالحصول على الكثير من الحقوق في السعودية مثلا لم تكن تحلم بتحقيق جزء منها ، إن حرية امتلاك الجسد كانت و ستبقى إحدى أهم المطالب التي تسعى لها الحركة النسوية و قد أمكنها من تجاوز الكثير من الممارسات التي تجد في المرأة أشبه بالسلعة التي يتم تداولها بين الأهل و الآخرين ، فقد حدثت الكثير من التطورات فيما يتعلق بالمسألة الزوجية وحرية اختيار الرجل دون فرض كما أن التثقيف بالنظرة السوية للحياة الزوجية بصفتها حياة تشاركية بين الزوجين لاقت صدى بشكل واسع في المجتمعات العربية مقابل النظرة التقليدية التي لا ترى بالزوجة سوى ملك لزوجها يمكنه أن يفعل بها ما يشاء.

إضافة إلى هذا فقد ساهمت الاستقلالية الاقتصادية للمرأة في تعزيز الشعور المتبادل بين الزوجين بالمسؤولية المشتركة لبناء أسرة سليمة ، أيضا نشرت الوعي الاجتماعي بمخاطر الكثير من الممارسات التي تتعلق بالمرأة مثل(الختان)حيث ساهمت الحركة النسوية بإشاعة التثقيف إزاء هذه الممارسة ،و التي باتت تجد لها صدى في بعض القرى و الأرياف التي تعتمد هذه الممارسة و التي تحتاج إلى مزيد من الضغط و التوعية لإصدار التشريعات القانونية المانعة لمثل هذه الممارسات ، ولا زلن الناشطات النسويات يخطون باتجاه تحقيق المزيد من الحقوق التي تتعلق بالعقيدة و الدين و احترام جسد المرأة إزاء بعض الممارسات الذكورية لبعض ،الأنظمة السياسية و تحديد ما يسمى بكشف العذرية الذي يعد اهانة للمرأة كذلك السعي لتشريع القوانين المشددة على مسألة الاغتصاب بجميع أشكاله كما يحصل كل يوم وحصل في ظروف الثورة المصرية مثلا حين تم اغتصاب بعض الثائرات في مراكز الشرطة لهذا فرض النشاط النسوي إعادة النظر في الربط بين المرأة و طبيعتها الجنسية. لأن << مشكلة المرأة ليس مشكلة أنثوية خالصة ، و لا ذكورية متسلطة بل مشكلة ثقافية عامة يشترك فيها الفرد و المجتمع>>[1].

لقد أفرزت التطورات التي حصلت في مصر و لبنان و تونس خاصة و غيرها من البلدان العربية بأن المرأة الثائرة مثلها مثل الرجل تسعى للتغيير السياسي و الاجتماعي لصالح وطنها وهو ما تجسده الشابات الثائرات رغم محاولة النظام لتشويه صورتهن حيث زالت القيود العائلية التي كانت تنظر للمرأة على أنها موضوعا جنسيا فقط يسعى الذكور للتمتع بها بل العكس من ذلك هي الثائرة التي لها طموحها السياسي الاجتماعي و نشاطها الثقافي الذي يرسخ قيمة

[1] – محمود محمد علي ، الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ،ط1،الاسكندرية ،مصر ،2020،ص159.

حضارية و لأن المرأة إنسانة مثلها مثل الرجل وعزلها عن القيام بدورها ينعكس سلبا على المجتمع لها فإن الحركة النسوية مؤخرا << استطاعت تحقيق مكاسب ،في مجال الدستور و القوانين التي يشرعها مجلس النواب و في مجال السياسات و الاستراتيجيات و البرامج الحكومية التي تنبثق منها خطط عمل و لوائح إدارية و آليات تنفيذ>>[1].

و ما يثبت ذلك هو المرأة التونسية التي تحظى بقدر كبير من الاستقلالية و التحرر و المساواة حيث تمكنت من إحداث توسع و تغيرات كثيرة على مستوى الدستور انطلاقا من المساواة في الميراث و منع تعدد الزوجات ، وحق المرأة المسلمة في الزواج من غير المسلم ، وحق المرأة تطليق زوجها متى شاءت ،و منع زواج القاصرات ، ولا يحق للزوج تطليق زوجته إلا في المحكمة ، كذلك حق المرأة في العمل في كافة المجالات.

نستخلص من هذا الفصل أن مواقف نوال تتشابه مع آراء كثير من الناشطات العلمانيات في تقاطع بين ثقافتين الأولى ثقافة غربية منفتحة جدا و ثقافة اجتماعية مترسخة، في مجتمع له ثقافته و هويته الإسلامية مما جعل المواقف تجاهها متشابكة فهناك من ينتقد أفكارها بشدة ،و هناك من يريدها بشدة و بالتالي يصعب على القارئ أن يقف موقف وسطي حول آرائها فإما أن يكون ضدها أو يؤمن بأفكارها .

حققت الحركات النسوية انجازات و تقدما كبيرا في مجالات عدة شملت جوانب قانونية و دستورية و اقتصادية واجتماعية لصالح المرأة لم تكن تسعى لها من قبل.

واجهت تحديات ناتجة من طبيعة المجتمعات التي عاشت فيها، و الموروث الثقافي في خانة التقاليد الراسخة التي أعاقت في كثير من الأحيان نشاطها، ومحاولة الأنظمة الديكتاتورية استغلال الحركات النسوية و منعها من الاستقلال.

[1] – أنور قاسم الخضري ، الحركة النسوية في اليمن تاريخها وواقعها ، مجلةكتاب البيان للنشر ،ط1،اليمن، 2007،ص188.

الخاتمة

خاتمة :

وفي ختام بحثنا هذا الموسوم **بالفكر التحرري في الفلسفة النسوية "نوال السعداوي" انموذجا** يمكن اجمال اهم النتائج التي تم التوصل اليها فيما يلي:

ان الحرية الإنسانية كانت نتاجا لكفاح وصراع بذل فيه الانسان، رجل وامرأة، الكثير من الجهد ضد القوى المتحكمة سواء كانت طبيعية او سياسية كالأنظمة التسلطية التي سعت جاهدة لفرض وصايتها عليهم سعيا منهم الى التحرر منها.

ظهور النظام الابوي في المجتمع انتج عقلية ذكورية دفعت به ان يميز بين الذكر و الانثى , مما حجب عنها الحرية التي ناضلا معا من اجلها , واخذ يفرض سطوته عليها ويمنعها من الكثير من حقوقها انتهاء الى جعل مكانها البيت لخدمة الرجل وانجاب الأطفال.

سعت المراة بكل قوتها لتغيير النظرة الذكورية من خلال بث الفكر التحرري النسوي من خلال تشكيل الجمعيات والنقابات القادرة على الوقوف امام الهيمنة الذكورية التي تواطأت مع الاقطاع ورجال الدين لتشكيل أنظمة سياسية ليس للمراة مكان فيها.

ظهور الوعي النسوي ترافق مع ما حققته المراة من إنجازات في بعض الميادين مما اكسبها الثقة بنفسها وانها ليست دون الرجل بقدراتها.

ساهم التلاقي والتواصل في بدايات النهضة العربية على الاحتكاك بالمراة الغربية مما اكسبها اطلاعا على تجاربهن في سعيهن للتحرر

اصطدمت المراة العربية في نضالها نحو الحرية بعدد من التابوهات كانت تتمثل في العادات والتقاليد التي تنتمي الى التخلف الذي يعيشه المجتمع العربي بشكل عام.

على الرغم من الجهد الذي بذلته المراة العربية في سبيل تحررها من خلال التثقيف وإشاعة الوعي النسوي من خلال الصحافة والمنتديات والصالونات الأدبية , الا ان المتحقق لم يكن بمستوى الطموح خلال الموجه الأولى من الحركة النسوية العربية.

ازداد نشاط النسويات العربيات مع حركات التحرر الوطني والاستقلال للدول العربية حيث سعت لان تجد لها مكانا في حركة التنمية الوطنية في دولها.

واجهت المراة تحالفا مضادا لها تمثل بتحالف القوى السياسية والاقطاعية مع رجال الدين للوقوف بوجه أي مطالب تحررية للمراة..

استطاعت العولمة والانفتاح الدولي على ان يجعل صوت المراة العربية مسموعا بمستويات متباينة حسب ظروف الدول العربية المختلفة , الا انه وجه وعي الحركات النسوية الى ضرورة النفاذ الى المستوى السياسي والقانوني والتشريعي القادر على ان يؤسس قاعدة صلبة لتحقيق استحقاقاتها من الحريات.

فشل الحركة النسوية العربية في التصالح بين حقوقها المشروعة وبين بيئتها الثقافية اذ اثر التواصل مع الغرب على وحدة الحركة النسوية مما شطرها الى عدد من الحركات تراوحت بين السير التام على خطى المراة الغربية او محاولة التوفيق بين استحقاقات التحرر و البيئة الثقافية العربية الإسلامية وهو ما ساهم باضعاف الحركة.

استطاعت نوال السعداوي ان تكون رائدة الحركة النسوية في موجتها الثانية بانجازاتها الإبداعية التي كرستها لهموم المراة وفضح ما تتعرض له من ظلم واجحاف وعدم مساواة.

استطاعت نوال السعداوي بما تمتلك من شجاعة ان تكسر التابوهات المفروضة على المجتمع سواء ما يتعلق بالسياسة او الدين او الجنس حيث كانت صلبة بكشف الخلل في التعامل الذكوري مع المراة.

اتسم موقف بعض النشاطات النسوية بالتطرف الذي خلق تطرفا مضادا حول جملة من القضايا كالدين والجنس وهو ما كان سببا في تشويه الحركة النسوية بشكل عام وعكس صورة اجتماعية سيئة عنها وربطها بالكفر او التحلل الأخلاقي .

ساهمت الأنظمة الدكتاتورية في الوطن العربي بإعاقة أنشطة الحركات النسوية وسعت الى جعلها مرتبطة بها تأتمر بأوامرها او ملاحقتها والتضييق عليها وهو ما اضعف الحركة النسوية.

ان الحركة النسوية العربية بحاجة الى إعادة وحدتها من خلال رسم استراتيجيات واضحة تأخذ بنظر الاعتبار موروثها الثقافي المضيء في تعاملها مع القضايا الكبرى التي سببت تجزئتها كالدين والجنس والموقف من السلطة لتتوحد جهودها لتحقيق مطامحها بالتحرر الذي لا يكون استنساخا لتجربة النسوية الغربية مع الإفادة من تجاربها في العمل والنضال التحرري.

قائمـة

المصادر والمراجع

المصادر :

القرآن الكريم :

1. نوال السعداوي، الأنثى هي الأصل ،مؤسسة هنداوي سي أي سي للنشر ،دط،مصر،2017.
2. نوال السعداوي، الرجل و الجنس، مكتبة مدبولي للنشر،ط1،القاهرة ،مصر،1973.
3. نوال السعداوي، المرأة و الصراع النقدي ، مؤسسة هنداوي ، سي أي سي للنشر ،دط،مصر،2017.
4. نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية ، مؤسسة هنداوي سي أي سي للنشر ،دط،مصر،2017.
5. نوال السعداوي، أوراقي حياتي ،ج2 ،مؤسسة هنداوي سي أي سي للنشر ،دط،مصر،2017.
6. نوال السعداوي، تؤأم السلطة و الجنس، مؤسسة هنداوي ، سي أي سي للنشر ،دط،مصر،2017.
7. نوال السعداوي، دراسات عن المرأة و الرجل في المجتمع العربي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،ط2،بيروت لبنان،1990.
8. نوال السعداوي، عن المرأة و الدين و الأخلاق ، مؤسسة هنداوي سي أي سي للنشر ،دط،مصر،2017.
9. نوال السعداوي، قضية المرأة المصرية السياسية و الجنسية ، مؤسسة هنداوي سي أي سي للنشر دط،مصر،2017.
10. نوال السعداوي، كسر الحدود ،مؤسسة هنداوي سي أي سي للنشر ،دط،مصر،2017.
11. نوال السعداوي، مذكرات طبيبة ، مؤسسة هنداوي سي أي سي للنشر ،دط،مصر،2017.
12. نوال السعداوي، مذكرات في سجن النساء ، دار الآداب للنشر و التوزيع ،ط1،بيروت ،لبنان،2000.
13. نوال السعداوي، معركة جديدة في قضية المرأة ، سينا للنشر ،ط1،القاهرة ،مصر،1992.
14. نوال السعداوي، نوال و الثورات العربية ، شركة المطبوعات للنشر و التوزيع ،ط1،بيروت، لبنان،2013.
15. نوال السعداوي و هبة رؤوف عزت،المرأة و الدين و الأخلاق،دار الفكر للنشر،ط1،دمشق،سوريا،2000.
16. نوال السعداوي، المرأة و الجنس،دار مطابع المستقبل للنشر، ط4،الإسكندرية ،مصر،1990.
17. نوال السعداوي، قضايا المرأة و الفكر و السياسة ، مؤسسة هنداوي سي أي سي للنشر دط،مصر،2017.

المراجع :

1. إرنست إيمينيونو و موريس ايريك، قراءات في أعمال نوال السعداوي، تر: سها السباعي، المركز القومي للترجمة للنشر و التوزيع ،ط1،القاهرة , مص 2017.
2. أفلاطون ، المحاورات الكاملة ، محاورة سيمبوسيوم، تر:شوقي داود، الأهلية للنشر دط،بيروت،لبنان،1994.
3. أمال كامل بيومي السبكي، الحركة النسائية في مصر ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب للنشر،دط،مصر،1986.
4. إمام عبد الفتاح : نساء فلاسفة ، مكتبة مدبولي للنشر ،د ط ، القاهرة، مصر ، 1996.
5. إمام عبد الفتاح إمام، أرسطو و المرأة ، مؤسسة الأهرام للنشر، ط1،مصر،1993.
6. إمام عبد الفتاح إمام، أفلاطون و المرأة ، مكتبة مدبولي للنشر، دط،مصر،دس.
7. إمام عبد الفتاح إمام، الفيلسوف المسيحي و المرأة ، مكتبة مدبولي للنشر، ط1،مصر،1993.
8. أميرة الأزهري سنبل، النساء و الأسرة و قوانين الطلاق و الزواج في التاريخ الاسلامي ،تر: أمال على مظهر و آخرون مر : رؤوف عباس، المجلس الاعلى للثقافة و النشر ، دط،مصر،1999.
9. أمينة أبو بكر، النسوية و المنظور الاسلامي ، أفاق جديدة للمعرفة و الإصلاح، تر: رائد أبو بكر و حسام نايل ، مؤسسة المرأة و الذاكرة، دط، القاهرة ، مصر ،2013.
10. أنور قاسم الخضري، الحركة النسوية في اليمن تاريخها واقعها ،مجلة كتاب البيان للنشر،ط1،اليمن،2007.
11. أورزولاشوي، أصول الفروق بين الجنسين،تر: بعلي ياسين، دار الحوار للنشر، ط2،اللاذقية سورية،1995.
12. أيوب أبو دية ، الحجاب في التاريخ ، دار الفارابي للنشر، دط،عمان،2011.
13. باسمة كيال، تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين للنشر، د ط ، بيروت ، لبنان، 1981.
14. بيار بورديو، الهيمنة الذكورية ، تر:.سلمان قعفراني، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط1،بيروت، لبنان،2009.
15. بيتي فريدان ، الغز الأنثوي ، تر :عبد الله بديع فاضل،دار الرحبة للنشر و التوزيع ، ط01، دمشق ،سوريا، 2014 .
16. تركي علي الربيعو، العنف و المقدس و الجنس في الميثولوجيا الإسلامية ، المركز الثقافي العربي للنشر،ط 2 بيروت لبنان ، 1995.

17. جميل حمداوي، ما الجندر و ما المقاربة الجندرية، د د ن ، ط1،دب،2018.

18. جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتقييم و الثقافة ، دط، مصر،2012.

19. جون ستيوارت ميل، استبعاد ، تر:إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي للشر، ط1، القاهرة،مصر،1998.

20. خالدة سعيد، المرأة التحرر الإبداع، دار لفك للنشر، دط،المغرب،1991.

21. خديجة الغريزي، الاسس الفلسفية لفكر النسوي الغربي ، دار بيسان للنشر،ط1،لبنان،2005.

22. زكي علي السيد ابو غضة، الحجاب و الختان و العفة بين الاديان والقوانين ودعاة التحرر،دار الوفاء للطباعة والنشر،ط1،القاهرة،مصر،2002.

23. زكي علي السيد ابو غضة،عمل المراة بين الاديان والقوانين ودعاة التحرر،ط1،دار الوفاء للطباعةوالنشر،القاهرة ،مصر،2007.

24. زكي علي السيد ابوغضة، المراة في اليهودية والمسحية والإسلام، دار الوفاءللطباعة والنشر،ط1،القاهرة،مصر،2003.

25. سارة جامبل، النسوية ومابعد النسوية ،تر:احمد الشامي، المجلس الاعلى للثقافة والنشر،ط1،مصر،2002

26. سيد حسين العفاني، اعلام واقزام في ميزان الاسلام،ج1،دار ماجد العيري للنشر والتوزيع،دط، السعودية،دس.

27. سيغموند فرويد،الحياة الجنسية،تر:جورج طرابيشي،دار الطليعة للطباعة والنشر،ط1،بيروت،لبنان،1982.

28. سيمون دي بوفوار، الجنس الاخر ،ج2،تر:سحرسعيد،دار الرحبة للنشر والتوزيع،ط1،دمشق،سوريا،2015

29. عبد الله النفيسي، العمل النسائي في الخليج الواقع و المرتجى،شركة الريعان للنشر والتوزيع،ط1،الكويت،1983.

30. عبد الله حسين المسلمي ،افلاطون محاورة مينيكسنوس او عن الخطابة،م4،منشورات الجامعة الليبية للنشر،ط1،ليبيا،1972.

31. عبد الوهاب المسيري قضية المرة بين التحرير و التمركز حول الانثى،دار نهضة مصر للطباعة و النشر،ط2،مصر،2010.

32. عصمت محمد حوسو، الجندر الابعاد الاجتماعية والثقافية ،دار الشروق للنشر،ط1،عمان، الأردن 2009.

33. علي حرب،نقد النص، المركز الثقافي العربي للنشر ،ط4،المغرب،2005.

34. علي عبود المحمداوي و اخرون،الفلسفة النسوية في فضح ازدراء الحق الانثوي و نقضه والتمركز الذكوري و نقده، منشورات الاختلاف،منشورات الضفاف ،ط1،الجزائر،لبنان،2013.

35. علي عليوة،المراة بين فكي الهيمنة الذكورية والتدين، المركز العربي الديمقراطي للدراسات الاستراتجية و السياسية و الاقتصادية للنشر،ط5،برلين، المانيا،2019.

36. غيرادا ليرنر، نشأة النظام الأبوي ، تر: أسامة إسبر، مر: الاب بوليس،مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع و النشر، دط، دب،1968.

37. فاطمة المرنيسي، الحريم السياسي، تر: عبد الهادي عباس، دار الحصاد للنشر

و التوزيع،دط،دمشق،سوريا،دس.

38. فاطمة المرنيسي، ما وراء الحجاب، الجنس كهندسية اجتماعية، تر: فاطمة الزهراء أرزويل، المركز الثقافي العربي للنشر، ط4، الدار البيضاء، المغرب،2005.

39. فرانك أمبرت، الدين في السياسة الامريكية تاريخ هوجز، تر: عبد الله لطيف، دار النمو للنشر، دط، السعودية،2015.

40. قاسم أمين ، تحرير المرأة ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ،دط،مصر،2012.

41. كوماري جايا، النسوية القومية في العالم الثالث ، تر: رقية ضحوك و عبد الله فاضل ، دار الربحبة للنشر،ط1،دمشق،سوريا،2016.

42. ليزا ابو سعيد،في نظرية المعرفة النسوية دراسة في فلسفة لورين كود،تق:يمنى طريف الخولي،مركز الكتاب للنشر،ط1،القاهرة،مصر،2019.

43. ليندا جين شيفرد،انثوية العلم،تر:يمنى طريف الخولي،عام المعرفة للنشر،د ط، الكويت،2004.

44. مارجو بدران،رائدات الحركة النسوية في الإسلام والوطن العربي،تر:على بدران،المجلس الأعلى للثقافة والنشر،دط،مصر،2000.

45. ماري الين ويث،تاريخ النساء الفلاسفة في العصرين اليوناني والروماني،تر:محمود السيد مراد،مر:محمد فتحي،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،ط1، الاسكندرية، مصر،د س.

46. مالك شبل،الجنس والحريم وروح السراري،تر:عبد الله زوار، إفريقيا الشرق للنشر،دط،المغرب،2010.

47. مثنى امين الكردستاني،حركات تحرير المراة من المساواة الى الجندر،تق:محمد عمارة،دار القلم للنشر،ط1،مصر،2004.

48. محسن الموسوي ومحمد بور ابراهيم،نحن ومسالة المراة،ج1،م2،المركز الاسلامي للدراسات الاستراتجية للنشر،ط1،العراق،2020.

49. محمد عمارة ،شبهات حول الإسلام،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،دط،القاهرة،مصر،2002.

50. محمد فهمي عبد الوهاب،الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار و الصهيونية،دار الاعتصام للنشر،دط، القاهرة، مصر،1979.

51. محمد قطب، المغالطات،دار الشروق للنشر،ط1، القاهرة،مصر،2006.

52. محمود محمد علي،الفلسفة النسوية في مشروع ماجد الغرباوي التنويري،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشرالإسكندرية،مصر،2020.

53. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور، المركز الثقافي العربي للنشر،ط9،الدار البيضاء، المغرب،2005.

54. مية الرحبي ،النسوية مفاهيم وقضايا،دار الرحبة للنشر،ط1،دمشق،سوريا،2014.

55. ميرفت حاتم،نحو دراسة النوع في العلوم السياسية،تر:شهرت العالم،مؤسسة المراة والذاكرة ,ط1القاهرة2010

56. نادية العلى، الحركة النسائية المصرية،تر:مصطفى رياض،المجلس الاعلى للثقافة والنشر،ط1،مصر،2002.

57. نسرين شريفي وكمال بوقرة،قانون الاسرة الجزائري،دار بلقيس للنشر،دط،الجزائر،2018.

58. هدى شعراوي،مذكرات هدى شعراوي، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة،دط،مصر،2012.

59. هند محمود و شيماء طنطاوي، نظرة للدراسات النسوية، مر: احمد الدريني، منشور برخصة الابداع المشاعي للمصدر، ط1،دب،2016.

الموسوعات:

1. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي،الموسوعة المسيرة للمصطلحات السياسية، عربي-انجليزي،ددن،دط،دب،2006.

المعاجم:

1. احمد عمر مختار، معجم اللغة العربية المعاصر، م1،علا الكتب للنشر،ط1،مصر،2008.

2 . جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية،دار الجنوب للنشر،دط،تونس،2004.

3 .جميل صليبا، المعجم الفلسفي،ج2،دار الكتاب اللبناني للنشر،دط، لبنان،1982.

4.ياسر العلوي، معجم المصطلحات السياسية، معهد البحرين للتنشئة السياسية نللشر،دط،البحرين،2014.

المجلات:

1. جوي سليم، كره النساء فلسفيا من سقراط الى نيتشه، مجلة ثقافة و ناس، العدد13-14،دب،2018.
2. بوزيدي سولاف، إشكالية الشرف لدى المرأة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد/16،وهران، الجزائر،20016.
3. حنين البرازي، الحركة النسوية المصرية بين الموروث الثقافي و النشاط السياسي، مجلة انسانيات،العدد74،مصر،2016.
4. خالد قطب و يمنى طريف الخولي واخرون، الفلسفة النسوية الخصوصية و الابداع الحضاري، مجلة اوراق فلسفية، العدد 37، مصر2018.
5. زهير الذاوي، نهج رفاعة الطهطاوي، المشروع الحضاري المناقض للاستبداد، مجلة الموروث العدد4،تونس،2014
6. يوسف بن يزة ، انجازات الحركة النسوية العالمية ،مجلة الباحث، العدد،01،دب،2014.

التقارير:

1. احمد عمرو، النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية قراءات في المنطلقات الفكرية، التقرير الاستراتيجي الثامن، دط دس.
2. خديجة الشريف وآخرون، الثورات العربية أي ربيع النساء؟ ،تقرير الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان، دط المغرب،2012.
3. اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا، الحركات النسائية في العالم العربي، هيئة الامم المتحدة،2005.

المذكرات:

1. بلمقدم يحى، تحرر المرأة الجزائرية الطالبة الجامعية انموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم اجتماع سياسي و ديني، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية .جامعة تامسان، الجزائر،2014-2015.
2. حداد ناريمان، الحركة النسوية عبر شبكات التواصل الاجتماعي، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص اعلام واتصال، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة ، الجزائر،2018-2019.

المقالات

1. طارق محمد أحمد ، الفكر التحرري ، مدونة و جهة المثقف عن موقع : Tareq99mohd.word press.com
2. نيروز الشيحي المرأة العربية بين التحرر الفكري و الأخلاقي عن موقع blog s-aL : jazeera.net

المواقع:

1. www.watanserb.com.
2. www.HINDAWI.ORG

فهرس المحتويات

-شكر وعرفان:.....

-الإهداء:.....

-إهداء خاص:.....

-مقدمة.....

الفصل الأول:الفلسفة النسوية من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل.

أولا:إرهاصات الفكر النسوي:..... **6**

أ-اضطهاد الفلاسفة للمرأة:..... **6**

ب- المراة الفيلسوفة قديما :..... .....**10**

ثانيا: جينيالوجيا الفلسفة النسوية (ضبط المصطلحات)..... .....**12**

أ-مفهوم الفكر التحرري:..... .....**12**

ب-مفهوم النسوية:..... ...**13**

ج-مفهوم الفلسفة النسوية:..... .....**14**

ثالثا: تاريخ الحركة النسوية الغربية والعربية:..... .....**15**

أ- تاريخ الحركة النسوية الغربية:.....**15**

ب-تاريخ الحركة النسوية العربية:.....**20**

الفصل الثاني:قضايا الفكر التحرري عند نوال السعداوي

أولا :الجدل السياسي للأخلاق والدين.....**26**

أ-الجدل السياسي:.....**27**

ب-الجدل السياسي للأخلاق:..... .
33

ج-الجدل السياسي للدين:.....**38**

ثانيا:المرأة والجنس:.....**44**

ثالثا:الثورة والإبداع:.....**47**

أ-الثورة:.....**47**

ب-الإبداع:.....**51**

الفصل الثالث: تحديات وآفاق الحركة النسوية في الوطن العربي

اولا:نوال السعداوي في ميزان التقييم والنقد:.....**57**

أ-التقييم:.....**57**

ب-النقد:.....**62**

ثانيا:واقع الحركة النسوية في الوطن العربي.....**69**

ثالثا:الأفاق المستقبلية للحركة النسوية العربية.....**72**

خاتمة:.....

قائمة المصادر والمراجع:.....

فهرس المحتويات:.....